الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة عبد الحميد بن باديس – مستغانم –

كلية الأدب العربي والفنون

قسم الدراسات الأدبية والنقدية

الرَّسائِلُ السُّلْطانيةَ في كِتابِ "رَيْحانَةَ الكُتّابِ وَنُجْعَةَ المُنْتابِ" لـ«لِسانِ الدّينِ بنُ الخَطيبِ ت 776هـ/1374م»

(دِراسَةٌ في المَوْضوعاتِ وَالخَصائِصِ الفَنِيَّةِ)

مذكرة مقدمة ضمن متطلبات نيل شهادة ماستر في اللّغة والأدب العربي

تخصص: أدب عربي قديم

إعداد الطّالبة:

شيماء زهارة

إشراف الدّكتورة:

زهرة بن يمينة

الدكتورة: زهرة بن يمينة
قسم الدراسات الأدبية والنقدية
جامعة عبد الحميد بن باديس - مستغانم

السنة الجامعية: 2022/2021

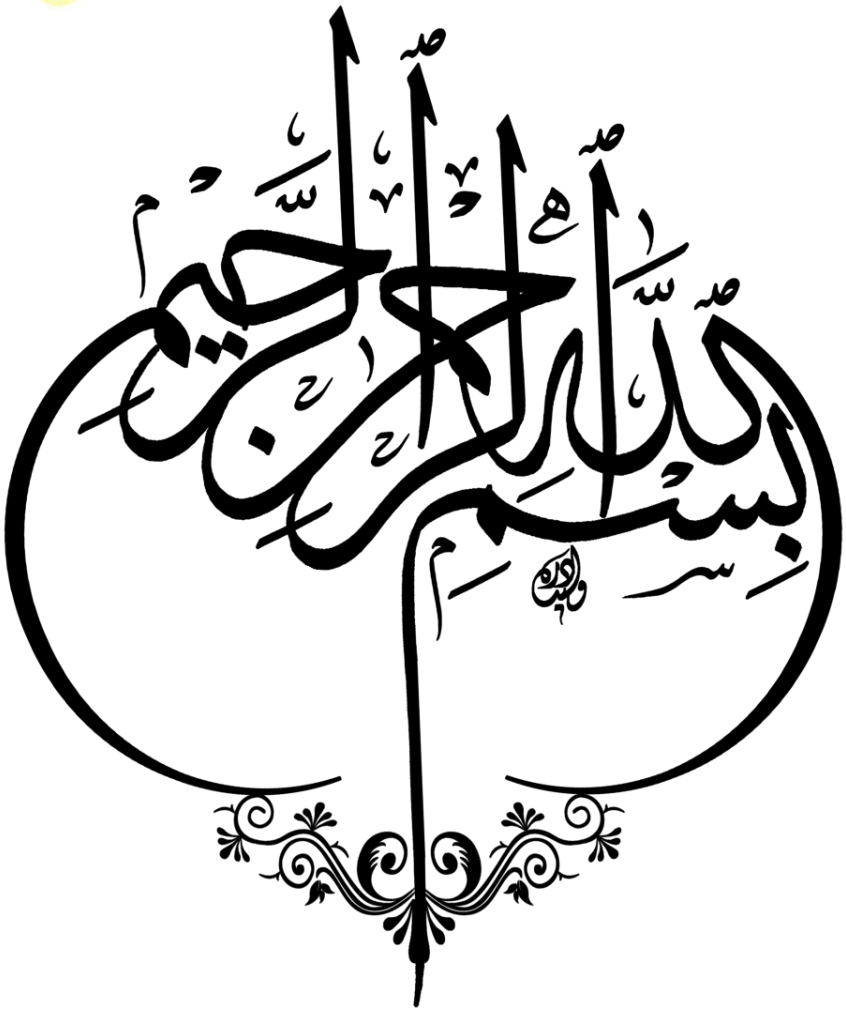
بسم الله الرحمن الرحيم

إهداء

و لأننا على هذه الدنيا لا يبصم لنا أثر و لا يسمو لدينا هدف إلا بأشخاص داعمين لنا في السّراء والضراء، أحببت أن أهدي ثمرة جهدي

إلى من رحل عني ولم يرحل مني إلى أبي رحمه الله.

إلى أغلى الناس وأعزّهم إلى مدرستي ومصدر إلهامي و أجمل وردة في ربيع أيامي، إلى قنديلة دربي و ضياء ظلمات أيكة حياتي، إلى التي أنا هنا بفضلها وفضل صلواتها و دعائها, إلى أمي حبيبة قلبي.

إلى من شددتم لي الهمّة لبلوغ القمة، إلى عائلتي جميعا دون استثناء، إذ بكم استشعرت هدفي في هذه الحياة.

إلى كل عزيز خرقت محبته شغاف قلبي والى كل من جمعتني بهم معرفة من قريب أو بعيد.

كلكم، لكم مني باقة من حب كريم وتعبير صادق أمين عن الإحساس بالفضل العظيم.

شكر وتقدير

أشكر الله تعالى على توفيقه لنا لإتمام هذه المذكرة المتواضعة كما أتقدم بجزيل إلى والداي اللذان أعانونا في مسيرة العلم و النّجاح. الشكر موجه أيضا إلى الأستاذة التي أشرفت على هذا البحث الدكتورة زهرة بن يمينة. ونتكرم بعظيم التقدير والامتنان لكافة أساتذتنا الكرام الذين رافقونا طيلة مشوارنا الجامعي.لن تكفي حروف كلمة الشكر هذه ،يفاء حقهم بتنوير عقولنا بالمعرفة و التّوجيهات العلمية

وأن آخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

مقدمة

يُعدّ النّثر الفنّي الأندلسي امتدادا للنّتاج الفكري العربي، الذي حظي به الموروث الثقافي للآداب العربية، وتقلدت على منّصته أنواع من الخطابات والضّروب على رأسها الرّسائل، ويتّجه هذا اللّون النّثري إلى وصل العلاقات ببعضها، وترجمة الانفعالات، ونقل المعلومات والأخبار، في قالب أدبي مزيّن ومنمّق، يروق لها السّامع والقارئ على السّواء. فبرزت لها أهمية بالغة أدركها الأدباء الأندلسيون فراحوا يتلقّفونها ويُخضعون لها فنيّات الكتابة، وأساليب الصّياغة، وروائع التّراكيب، فغدا عندهم بمثابة روح العصر وفنّه، والأنموذج المعبّر عن المستوى الحضاري لديهم.

يتنازع هذا الفن، -فن الرّسائل- أنواع عديدة أبرزها الرّسائل السّلطانية، والتي شاعت بكثرة خلال هذا العهد نتيجة طبيعة الحياة التي نشأ فيها، بين رخاء وشدّة، وسلم وحرب، وتوتّر وهناء. فكانت الحاجة إلى تواشج العلاقات بين الملوك والسّلاطين، فلم يجدوا من سبيل إلاّ الرّسائل ليبلغوا بها مقاصدهم. ويُعدّ **لسان الدّين بن الخطيب** قطبا من الأقطاب الذين كتبوا في فن التّرسل عن مختلف سلاطين زمانه. فكان من الأهمية بمكان إلى التّعرض لإنجازاته الإبداعية والفنيّة والكشف عن مهارته اللّغوية في هذا الصّدد. آثرت رغبتي للتّطرق لهذا الموضوع دوافع تراوحت ما بين الموضوعيّة والذّاتية. فأمّا الموضوعية فأتت رغبة لإضافة بحث بسيط للمكتبة الأندلسية النّثرية، يثريها معرفياً علّه ينقص من الاهتمام الجم للتّراث الشّعري على حساب التّراث النّثري. فجاء هذا المولود من صلب الاحساس بنقص الدّراسات النّثرية في الأندلس. أمّا ما يخصّ الدّوافع الذّاتية فهو شغفي بكل ما هو أصيل، ضارب في عمق جذور التّاريخ، فبولوعي للتّراث العربي القديم قد وقع اختياري على هذه الدّراسة. وبتنازع هذين الدافعين قد لمعت ومضة موضوع بحثنا فجاء موسوما بـ **" الرّسائل السّلطانية في كتاب**

ريحانة الكتاب ونجعة المنتاب للسان الدّين ابن الخطيب دراسة في الموضوعات والخصائص الفنيّة".

فوق مظلّة هذا العنوان تتهاطل عليها عدّة إشكالات هي مرام هذا البحث تتمثّل في: ما المقصود بالرّسائل السّلطانية؟ وما الدّاعي الذي أشاعاها ؟ وما الغرض من تأليفها ؟ وفيم تجلت خصائصها الفنّية؟ سعيا للإجابة عن هذه التّساؤلات غمرنا عدّة مناهج دراسيّة تنوعت ما بين المنهج التّاريخي بالرّجوع إلى طرق الملابسات والوقائع التي أثّرت في نشوء الرّسائل. وبين المنهج الموضوعاتي لاستجلاء موضوعات الرّسائل السّلطانية، في كتاب ريحانة الكتّاب للسان الدّين. وكذا المنهج الوصفي التّحليلي الذي أعاننا في تتبّع الظّاهرة الأدبية وتحليل موضوعها. وآخر منهج فنّي لإلقاء الضّوء على الجوانب الجمالية لهذه الرّسائل.

رغم قلة الدّراسات السّابقة لمثل هذا الموضوع إلا أنّنا رصدنا منهما ما يتّصل به على سبيل المثال: (**الخصائص الفنّية لأدب الرسائل عند لسان الدّين بن الخطيب)** لـ " أسماء مزعاش" و"سارة بارش" مذكرة مقدمة استكمالا لنيل شهادة ماستر في اللّغة والأدب العربي، جامعة محمد الصديق بن يحيى، و دراسة **(الرّسائل الدّيوانية في مملكة غرناطة في عصر بني الأحمر)** لـ "عبد الحليم حسين جدوع الهروط" رسالة مقدمة لمتطلبات درجة الماجستير في اللّغة العربية وآدابها في كليّة الدّراسات العليا في الجامعة الأردنية. لم تكن هذه الدّراسة بقريب من دراستنا لكنّها قد حوت شيئا ممّا أعاننا على تفصيل خطتنا.

ولا يحلو أي عمل إلا إذا مرّ بصعاب مريرة تزّكي لك ذكريات تعبك، من بين الصّعاب التي قاطعت طريقنا هي قلة المعلومات عن عصر بني الأحمر فقد

وجدنا نتفا متناثرة بين كتب استصعب علي تحميلها أو ايجادها في المكتبة ولكنّي بجهد جهيد تخطيت ذلك وأيضا كان للمستوى اللغوي العالي ابن الخطيب لابن الخطيب في رسائله صعوبة في فكّ شفراتها.

اعتمدت خطة بحث سارت جادتها على مدخل حددت فيه مفاهيم تخصّ الرّسالة بشكل عام، والرّسالة السّلطانية بشكل خاص. وكذا كيف كان ورودها في العصر الأندلسي وأسباب شيوعها في عصر "لسان الدّين بن الخطيب"، درست في الفصل الأول الموسوم بـ **"الرّسائل السّلطانية وموضوعاها في كتاب ريحانة الكتّاب للسان الدّين بن الخطيب"** أبرز الأغراض والموضوعات التي شكّلت ملامح الرّسائل السّلطانية فكانت على تهاني وتعازي، وأخرى في الفتوحات ونقل الاستبشارات، وثانية عن الشّفاعات. وبرزت أيضا رسائل الاستنجادات وطلب الإمداد. فقد أظهرت جليا العلاقة السّياسية التي جمعت بين سلاطين تلك الفترة. أما **الفصل الأخير** تمّت عنونته بـ **" الخصائص الفنّية في كتاب ريحانة الكتاب للسان الدّين بن الخطيب"** فأظهرت فيه السّمات الفنّية التي اعتمدها لسان الدّين وبيّنت عن قدرته الإبداعية وملكته الأدبيّة وحسن تصريفه اللّغوي. ثم اتبعتهم بملحق لتعريف **"لسان الدّين بن الخطيب"** وتعريف السّلطان **"أبو العنان"** والسّلطان **"أبو الحجاج."** وختمت بمجموعة استنتاجات حوت خلاصة هذا البحث وزبدته. تسلّحت بعدّة مصادر ومراجع أعانتني في حصر دراستي منها: **كتاب "صبح الأعشا في صناعة الإنشا للقلقشندي"** وكتاب **"أدب الرّسائل في الأندلس في القرن الخامس الهجري فايز عبد النبي."** وكتاب **"النّثر الأندلسي لعزيز حسين علي الموسوي"**، وكتاب **الأدب العربي في الأندلس لعبد العزيز عتيق."**

وفي الأخير لا يسعني إلا أن أتقدم بجزيل الشّكر ووافر الامنان للأستاذة المشرفة القدوة زهرة بن يمينة التي لم تدّخر أية معلومة أو دعم أسهم في استكمال هذا البحث داعية لها بالأيام الجميلة ودوام التألق.

مستغانم

2022/07/ 01

المدخل

المدخل

فرش نظري

1-تعريف الرّسالة
1.1. لغة
1.2. اصطلاحا
2-تعريف الرّسالة السّلطانية
3-الرّسالة السّلطانية في العصر الأندلسي
4-أسباب شيوع الرّسائل السلطانيّة في عهد لسان الدّين بن الخطيب

تمهيد

تبوّأت الرّسائل مكانة عليّة في النّثر الفنّي، إذ بلغت شأوا عظيما من الجودة والغزارة، والتّنوع الموضوعاتي في مختلف العصور وعلى ممرّ الحقب. عُرفت منذ أن اعتلى الإنسان صرح الكتابة، وعدّها وسيلة لتسجيل أفكاره وتخليد مآثره، وسبيلا للتّخاطب والتّحاور. ومن هنا انتهجها مذهبا فنيّا يحمل عليها كاتبها أسلوبا معيّنا، واتجاها مخصوصا في المضمون والغرض. تنوّعت التّسميات التي تطلق على فن الرّسائل في القديم والحديث؛ ففي العصور القديمة كانت تعرف بما يسمّى بالمكاتباتّ أو المراسلات أو التّرسّل أو التّرسيل، وأطلق عليها أيضا اسم المكاتبات الترسلية أو الرّسائلية. ومن بعد شاع لديها اسم الرّسائل، لتغدو فنّا نثريا قائما بذاته، له أصحابه وأربابه وكتابه ودواوينه وأنواعه .

1- تعريف الرّسالة:

1.1. لغة:

اشتّق اسم الرّسالة من الفعل "رَسَل" وفي مدلوله الكثير من المعاني الحسية فرَسل هي "القطيع من كل شيء، أو القطيع من الإبل والغنم، والجمع أرسال"[1] والرَسل: قطيع الإبل وترد أيضا بمعنى قطيع بعد قطيع."[2] ليتطوّر بعدها مفهوم لفظ رسالة من الحسيّة إلى المعنوية؛ فقد جاء في لسان العرب أنّ الإرسال يعني التّوجيه. ويقال راسله مراسة فهو مراسل ورسيل ، والتّرسّل كالرِّسل إذ يطلق على القراءة المتأنيّة المترسلة، ومنه قولنا على رسلك وهو "التّحقيق بلا عجلة

1- يعقوب الفيروز أبادي، القاموس المحيط، تح: أنس محمد الشامي و زكريا جابر أحمد، دار الحديث، القاهرة (مصر)، د.ط، 2008م، مادة (ر.س.ل)

2- ابن منظور الإفريقي، لسان العرب، دار المعارف، د.ط، د.س، مادة (ر.س.ل)

وقيل بعضه على إثر بعض."[1]ومنه سيق لفظ الرّسالة للمجال اللّغوي ليرمز على كل كلام يراسل به من بعيد.[2] وهذا بيت القصيد.

نستنتج من كل هذا أن لفظ رسالة لغويا، تنوّعت مدلولاتها من حسيّة من وحي الطّبيعة، إلى معنوية دالة على الأناة والتّعقل والتمهل. لينتقل بعدها اللّفظ إلى الحيز اللّغوي في دلالة منه على الكلام الذي يبعث من بعيد، و يوجه إلى مكان آخر. ولتحديد معنى دقيق للرّسالة سنحاول استدراجه من خلال التّعريف الاصطلاحي.

2.1. اصطّلاحا:

إنّ من المتّعارف عليه في تعريف الرّسالة أنها مكاتبات تنطلق من شخص معين إلى شخص آخر أوجماعة، تشتمل موضوعا معينا وغرضا منشودا غايته الإيصال والتبليغ والإنباء والإخبار، ويتجلى هذا في آيات كثيرة من الذكر الحكيم كقوله تعالى: **{فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِنْ لَاتُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ}** { سورة الأعراف، الآية 79} وقوله أيضا **{يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ}** { سورة المائدة، الآية 67} وذكره تعالى: **{إِلَّا بَلَاغًا مِنَ اللَّهِ وَرِسَالَاتِهِ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالدّين فِيهَا أَبَدًا}** { سورة الجن، الآية 23} فالرّسالة باختصار هي " الخطاب

1- المصدر السّابق، مادة (ر.س.ل).

2- أبو الحسين إسحاق بن إبراهيم، البرهان في وجوه البيان، تح: حفني محمد شرف، مطبعة الرّسالة، القاهرة (مصر)، د.ط، د.س، ص 152.

المكتوب في غرض جزئي يبعث به صاحبه إلى آخر"[1] يعرّفها عبد العزيز عتيق بأنّها: "قطعة من النّثر الفنّي تطول أو تقصر، تبعا لمشيئة الكاتب وغرضه وأسلوبه..... وكون كتابتها بعبارة بليغة، وأسلوب حسن رشيق، وألفاظ منتقاة ومعان طريفة."[2]، فالرّسالة على هذا قطعة نثرية، يؤلّفها الكاتب في نسق جميل على غرض من الأغراض يرسلها إلى طرف آخر. ولعلّ أبرز تعريف جامع لها هو ما يكتبه المرء انطلاقا من سجيته دونما تصنّع أو تأنق، ليعبرّ عن شؤونه الخاصّة أو العامة، متوخيّا حينا البلاغة والسطو على المعاني الدقيقة، فيرتفع بها إلى مستوى أدبي رفيع.[3] فالرّسالة هي لون من ألوان النّثر الفنّي، قسم من أقسامه تشخّص القريحة وتنهال عليها انهيالا، تستند أساسا على عنصر التّواصل بحيث يكون هناك مرسِل ومرسَل إليه وغاية الإرسال. ولعلّ نقطة التّلاقي بين المفهوم اللّغوي والاصطّلاحي؛ هو أنّ الرّسالة كما في معناها اللغوي تعنيّ الذي يدل على التّعقل والتّمهل، نجده في التّعريف الاصطلاحي، بحيث أنّ الكاتب إذا ما وضع أدواته لكتابة رسالة، فيكون على رسل ومهل في اقتناء ألفاظها، وتركيب معانيها، واستحسان أسلوبها، ومن ثمّ توجيهها لتؤدي الرّسالة بحق مراميها. وتتجزأ الرّسالة الفنية على عدة أنواع أبرزها الرّسائل السّلطانية أو ما تسمى بالرّسائل الديوانية أو السيّاسية.

2- مفهوم الرّسالة السّلطانية

تحتلّ الكتابة السّلطانية مكانة شريفة في سلّم درجات مناصب الدّولة، كونها تؤدي وظائف نبيلة وخطيرة، فهي "التي كانت تصدر عن ديوان الخليفة أو

1- أحمد الشايب، الأسلوب(دراسة بلاغيّة تحليليّة لأصول الأساليب الأدبية)، مكتبة النّهضة المصرية، القاهرة، ط2، 1945، ص 90.

2- عبد العزيز عتيق، الأدب العربي في الأندلس، دار النّهضة العربية، بيروت (لبنان) ط1، ص 448.

3- ينظر: جبور عبد النّور، المعجم الأدبي، دار العلم للملايّين، بيروت (لبنان)، ط2، 1984، ص 122.

الملك، يوجّهها إلى ولّاته وعمّاله وقادة جيوشه، بل وإلى أعدائه أحيانا منذرا ومتوعدا."[1] بحيث كان لكلّ خليفة أو ملك كاتبه من الوزراء، أو من هم أهل لذلك من أرباب الأدباء والشّعراء فيتولّى عنه كتابة " كل مهام الدولة وشؤونها من رسائل ومنشورات وعهود ومبايعات وغيرها."[2] تتوزّع الرّسائل السّلطانية على موضوعات وأغراض عدة، فتشمل التّهاني أو البشارة أو التّعزية أو المبايعة، وما شابه ذلك. وكذا بعضا من الأمور السّياسية كتولية العهد، وتولية القضاء، والولّاة وما يتّصل بشؤون الرّعية. ومن موضوعات الرّسائل السّلطانية أيضا "رسائل الجهاد التي يوجّهها الخلفاء إلى قادتهم يكلفونهم فيها بالغزو، ويزينون إليهم الجهاد في سبيل الله لإعلاء كلمته، بحيث اعتمدت هذه الرّسائل على المعاني الدّينية، فكان الكاتب يضمّنها الآيات التي تتحدّث عن تكاليف الجهاد، باعتباره فرضية شرعها الله لحماية دينه وإعلاء شأنه. كما كانت تتحدث عمّا ينتظره المجاهدون من ثواب ونعيم في الدّارين".[3] وعليه فالرّسالة السّلطانية نعني بها كل المراسلات والمخاطبات والوثائق وغيرها، ممّا ينضوي تحت الإنشاء ذات الطّابع الرّسمي، والّتي تدخل في باب من أبواب ترتيب الحكم وتنظيم المملكة، وضبط الشؤون الإدارية ومراسلة الأطراف، الّتي يكون التّعامل معها على كيفية معينة من داخل البلاد أو خارجها جزءا من النّشاط السّياسي.[4]

تتفقد الرّسائل السّلطانية أو الدّيوانية - كما يسميها البعض- شؤون الدولة وصوالحها، بحيث يزجّ فيها كاتبها كل ما يدور حول ديوان السلطان أو الملك،

1- عبد العزيز عتيق، الأدب العربي في الأندلس، ص 449.

2- المرجع نفسه، ص 449

3- فوزي سعد عيسى، التّرسّل في القرن الثّالث الهجري، دار المعرفة الجامعية، د.ط، د.س،1991، ص 18.

4- علي بن محمد، النثر الأدبي في الأندلس في القرن الخامس "مضامينه و أشكاله"، دار الغرب الإسلامي، د.ط، د.س، ص 208.

وذلك تيسيرا للعمل، وتثبيتا للنظام العام، وتأدية للواجب. ويغلب على هذا النّوع الدّقة والسّلاسة في التّعبير، والتّقيد بالمصطلحات الحكومية، والخلو من التّخيل والتّعقيد. وهذا النّوع من الرّسائل يعدّ أقدم تدوينا من بقية أصناف الرّسائل الأخرى، ذلك لأنه من متّطلبات الحكم وتدبير أوضاع الدّولة الخارجية والدّاخلية. "ولعلّ أوّل رسالة ديوانية – حسب المصادر- هي تلك الرّسالة (المعاهدة) التي كتبها الرّسول ﷺ، حين نزوله بالمدينة بين المهاجرين والأنصار واليهود."[1]

3- الرّسائل السّلطانية في العصر الأندلسي

اصطّنع الأدباء الأندلسيون لفظ رسالة في كتاباتهم على اختلافها منذ عهد سحيق، حسب ما تشير له النّصوص الأدبية والتّاريخية الأندلسية.[2] كما كانت لفظة الكاتب في الأندلس تطلق على طبقتين من النّاس؛ كُتّاب الرّسالة وكُتّاب الزّمام، أما كاتب الرّسائل فله من الأهمية حظّ وافر في القلوب والعيون عند أهل الأندلس. وهم كثروا الانتقاد على صاحب هذه المكانة لا يكادون يغفلون عن عثراته لحظة، فإن كان ناقصا عن درجات الكمال لم ينفعه جاهه، ولا مكانة من سلطانه، من تسلّط الألسن في المحافل والطّعن عليه وعلى صاحبه.[3] لقد كان فن الرّسالة من أسبق ألوان النّثر الفنّي إلى الظّهور في الأندلس[4]، حيث اهتمّ الأندلسيون منذ الفتح بالمراسلات التي عرفت فيما بعد بالرّسائل الديوانية، ولاسيما أنهم كانوا متمكّنين من الخطابة والشّعر والكتابة، منذ أوّل قدومهم إلى

1- عايض سعد الحارثي، ديوان الإنشاء بمصر والشام في القرن السّادس الهجري ، رسالة دكتوراه، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، 1983، ص 6.

2 - فايز عبد النبي، أدب الرّسائل في الأندلس في القرن الخامس الهجري، دار البشير، عمان (الأردن)، ط1، 1989، ص77.

3 - إحسان عباس، تاريخ الأدب الأندلسي (عصر سيادة قرطبة)، دار الثقافة، بيروت (لبنان)، ط2، ص 325 .

4- فايز عبد النّبي، أدب الرّسائل في الأندلس في القرن الخامس الهجري، ص78.

تلك البلاد.[1] وقد اتخذّ ولّاة الأندلس وأمراؤه مند بداية القرن الثّاني الهجري كتابا ليكتبوا لهم ما يصدر عنهم، من رسائل وعهود وتوليات، ويكاتبون به عمّالهم وولّاتهم، أو يهددون به الخارجين على حكمهم. وذلك بعدما تراخت الدّولة الجديدة وأخذت في التّمدن والتّحضر، فزادت حاجتها إلى كتابة الرّسائل السّلطانية لتتماشى مع مهامها الجديدة من تسيير لشؤونها، وتثبيت أوتاد مؤسساتها، وكذا تنظيم مجتمعها. وهذا يدفع بنا إلى القول بأنّ ظهور ديوان الرّسائل في الأندلس كان منذ نهاية النّصف الأوّل من القرن الثّاني الهجري، وفيما بعد تطوّر بحسب ما تدعو إليه حياة الدّولة في مختلف عصور العهد الأندلسي. وقد أدى تطوّر أدب الرّسائل وازدياد أهميته في الأندلس، إلى نقلة جديدة في ديوان الرّسائل لم تكن معهودة من قبل، وهي إفراد الأندلسيين للتّرسيل والإشراف على شؤون ديوان الرّسائل وزيرا خاصا، يكون من أهل الأدب والثّقافة وممّن ملكوا مقاليد البلاغة والفصاحة، متّصف بالملكة البيانية وغيرها من أدوات الكتابة، مجيد للأساليب والتراكيب، ومتّرسّلٌ بليغ. على أن يكون لسان حال الخليفة، وبذلك فسمعة الخلافة والدّولة منوطة به، وبما تتّصف به الرّسائل التي يؤلفها "من فن أدبي وقيّم جمالية. وأنّ أيّة عثرة قلم، أو سهو بال من خطأ أو إعجام، أو تصحيف تنقص من قدر الخلافة."[2] لذلك كانت العناية البالغة بالكاتب والاهتمام الجم بالرّسائل لأنّها في شرعهم جزءا من سياسة الدّولة الأدبية، ومما يشهد لذلك رسالة كتبها

1- المرجع السّابق، ص 88.

2- المرجع نفسه، ص .94

«ابن برد الاكبر»[1]عن **«المظفّر بن أبي عامر»**[2] إلى ولّاة الأقاليم وكتاب الدولة، موضّحا فيها ما يجب على الكاتب مراعاته في الرّسائل، من أحكام خط وإقامة حروف حيث يقول: **"وأن تكون صدور كتب الاعتراضات وعنواناتها وتواريخها والأعداد في رؤوس رسومها بخطوط أيدي القوّاد والعمّال، من كان منهم كاتبا فبيده، ومن لم يكن كاتبا فبخط كاتب له معروف، وأن تكون تسميّة طبقات الأجناد فيها بيّنة الحروف، قائمة الخطوط..."**[3]جاء نص هذه الرّسالة بمثابة دستور للمتّرسّلين في الأندلس. وبهذا فقد نمت الرّسائل السّلطانية وتدفقت سيولتها وتنوعت أغراضها، فطفق الكتاب يكتبون عن حكامهم، الرّسائل الإدارية والسّياسية والحربية، ويصفون المعارك، ويكتبون العهود والمواثيق، وما إلى ذلك من الموضوعات. وازدادت مكانتهم رفعة وسموا، واشتغلوا بشروط الكتابة وأدواتها المختلفة التي يجب توافرها في من أراد أن يشغل منصب الكتابة.

لقد كانت مختلف الوقائع والتطورات الجديدة التي تمرّ بها بلاد الأندلس، من توليات وخلافات، وسقوط دول ونهضة أخر، الدور الكبير في شيوع أدب الرّسائل وتطوره خاصة الرسمي منه، حيث أدرك الخلفاء والأمراء والسّلاطين وكبار الكتاب البلغاء، أهمية أدب الرّسائل وضرورة الاهتمام به وبقيّمه الجمالية والفنيّة باعتباره مرآة واقع الدولة ومستواها الحضاري، ومنه بدأ الاهتمام بالبناء

---

1 - هو أبو حفص بن برد الأكبر، أحد كتّاب الأندلسيين الكبار ومن أبرز المنشئين في فن النثر، نشأ بسرقطة بالأندلس وكان وزيرا للمظّفر بن أبي عامر أيام الدولة العامرية. يرجع: علي بن بسام الشنتريني، الذخيرة في محاسن أهل الجيزة،م1، ق1 ص 84

2- هو أبو مروان عبد الملك بن محمد بن أبي عامر (364 هـ - 399 هـ) الملقب بالمظفر بالله ، والحاكم الفعلي للخلافة الأموية في الأندلس في عهد الخليفة هشام المؤيد بالله خلفًا لأبيه الحاجب بن أبي عامر المتوفى سنة 392ه يرجع: محمد عبد الله عنان، دولة الإسلام في الأندلس، مكتبة الخانجي، القاهرة (مصر)، ج1، ط4، 1997، ص 607

3- علي بن بسام الشنتريني، الذخيرة في محاسن أهل الجيزة، تح: إحسان عباس، دار الثّقافة بيروت (لبنان) م1، ق1، 1997، ص 87.

الفنّي للرّسالة من حيث البداية والموضوع والختام، فظهرت الرّسالة في بناء متكامل. "وقد ارتقوا بأساليبهم البنائية وعنوا باستعمال المحسّنات البديعيّة المختلفة، من سجع وجناس ومقابلة وازدواج، حتى مالوا إلى الإطالة والإطناب وإلى تدعيم الرّسائل بالشّعر، مع كثرة الألقاب والجمل الدّعائية في مختلف الرّسائل."[1]من بين النّماذج التي توثق للرّسائل السّلطانية في بلاد الأندلس، رسالة لـ **«أبي حفص بن برد الأصغر»**[2] عن لسان من كان يكتب له من العامرين، وهي موجّهة لقوم طلبوا الأمان من مولاه: **"أما بعد، فإنّكم سألتم الأمان أوان تلمّظت[3]السيوف إليكم، وحامت المنايا عليكم وهمّت حظائر الخذلان أن تفرج لنا عنكم، وأيدي العصيان أن تتحفّنا بكم .ولو كِلنا لكم بصاعكم، ولم نرعَ فيكم ذمة اصطّناعكم، لضاق عنكم ملبس الغفران ولم ينسدل عليكم ستر الأمان، ولكنّا علمنا أن كهولكم الخُلوف[4] عنكم وذوي أسنانكم المعاصين لكم، ممّن يهاب وسمَ الخلعان[5]، ويخاف سطو السّلطان.... ولولا تحّرجنا أن نقطع أعضادهم بكم، ورجاؤنا أن يكون العفو على المقدرة تأديبا لكم، لشربت دماءكم سباع الكماة، وأكلت لحومكم ضباع الفلاة. وقد أعطيناكم، بتأميننا إياكم، عهد الله وذمّته، ونحن لا نخفرهما[6] أيام حياتنا إلا أن تكون لكم كرّة، و لغدرتم ضرّة، فيومئذ لا إعذار لكم، ولا إقصار عنكم، حتى تحصدكم ظباة السيوف، وتقتضي ديون**

---

1 - فايز عبد النبي، أدب الرّسائل في الأندلس في القرن الخامس هجري، ص92.

2 - هو الوزير أبو حفص أحمد بن محمد بن برد المتوفى سنة 428ه، وهو من كتاب الإنشاء في دولة العامرين ، جده **«ابن برد الاكبر».**

3 - تلمّظت: (تلمظ) فلَان لمظ ، َيُقَال مَا تلمظت الْيَوْم بِشَيْء مَا ذقت شَيْئًا إذا أخرجت لسانها.

4 - الخلوف: الغُيّب .

5 - وسم الخلعان: أثر نقض العهد.

6 - لا نخفرهما : لا ننقضهما.

أنفسكم غرماء الحتوف."[1]حملت هذه الرّسالة غرض الإنذار والتّهديد، لذلك نلمس من أسلوبها شيئا من التّرويع والإخافة من الغدر، استعان الكاتب فيها بجزالة التراكيب وقلة الأسجاع مع استعارات لتجسيم المعنى، وكنايات لإخفاء المعنى وعدم التصريح به لحاجة سياسية. و نموذج آخر لـ **«ابن برد الأصغر»** وهي رسالة مبايعة كتب فيها **"بايع الإمام عبد الله فلان بانشراح صدر، وطيب نفس ونصاحة جيب، وسلامة غيب، بيعة رضا واختيار، لا بيعة إكراه و إجبار، على السمع والطّاعة والمؤازرة والنّصرة والوفاء والنّصيحة في السرّ والعلانيّة، والجهر بالنيّة والعمل على موالاة من والاه، ومعاداة من عاداه، من بعيد وقريب، وغريب ونسيب. ويقسم على الوفاء به والقيام بشروط بيعته، بالذي لا إله إلا هو الرّحمن الرّحيم، عالم الغيب والشّهادة، والقائم على كل نفس بما كسبت، ويعطيه على ذلك كلّه ذمّة محمّد رسوله وذمّة الأنبياء والمرسلين، والملائكة المقربين، وعباد الله الصالحين."**[2]. فالرّسالة كما يتّضح إلينا خالية من الأساليب البيانية والبديعية، لأنّ المقام مقام عهد ومبايعة، فبلاغتها تتطلّب استخدام الألفاظ في معانيها الحقيقيّة، لا المجازية حتى لا تتحمّل التّأويل والتّفسير. ومن الرّسائل السّلطانية أيضا رسالة للوزير الكاتب **«لسان الدّين بن الخطيب»**، كتبها على لسان سلطانه «محمد الغني بالله بن الأحمر، يبشر فيها بالفتح، قال: "أيّها النّاس، ضاعف الله بمزيد النّعم سروركم، وتكفّل بلطفه الخفي في مثل هذا القطر الغريب أموركم، أبشركم بما كتب به سلطانكم السّعيد إليكم، المرادفة بيمنه وسعادته نعمّ الله عليكم، أمتع الله الإسلام ببقائه، وأيّده على أعدائه ونصره في أرضه بملائكة سمائه. أنّ الله تعالى فتح له الفتح المبين، وأعزّ بحركة الجهاد

1- علي بن بسام الشنتريني، الذّخيرة في محاسن أهل الجيزة، ص 500-501

2- المصدر نفسه، 497-498.

الدّين، وبيض وجوه المؤمنين وأظفره بطرير،[1] البلد الذي فجع المسلمين بأسرهم فجيعة تثير الحميّة، وتحرك النفس الأبيّة، فانتقم الله منهم على يده، وبلغه من استئصالهم غاية مقصده، فصدق من الله تعالى لأوليائه وعلى أعدائه الوعد والوعيد، وحكم بإبادتهم المبدئ والمعيد، وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة، إنّ أخذه أليم شديد. وتحصل من سببه بعدما رويت السّيوف من دمائهم آلاف عديدة، لم يسمع بمثلها في المدد المديدة، و العهود البعيدة، ولم يصبُ من إخوانكم المسلمين عدد يذكر، ولا رجل يعتبر. فتح هنيّ و صنع سنيّ، ولطف خفيّ، ووعد وفيّ. فاستبشروا بفضل الله تعالى ونعمته، وقفوا عند الافتقار والانقطاع لرحمته، و قابلوا نعمه بالشّكر يزدكم، واستبشروا في الدّفاع عن دينكم ينصركم ويؤيّدكم، واغتبطوا بهذه الدّولة المباركة لم تعدموا[2] من الله تعالى معها عيشا خصيبا. ولا رأيا مصيبا، ولا نصرا عزيزا ولا فتحا قريبا، وتضرّعوا في بقائها، و نصر لوائها، إلى من لم يزل سميعا للدّعاء مجيبا. والله عزّ وجلّ يجعل البشائر فيكم عادة، ولا يعدمكم[3] ولا أولي الأمر منكم توفيقا وسعادة. والسّلام الكريم يخصّكم، ورحمة الله تعالى وبركاته من مبلغكم ذلك فلان."[4] تنقل الرّسالة ابتهاجا وفرحا بالنّصر والفتح وقت ذاك، لذلك فقد انتهج فيها الكاتب أسلوبا سلسلا وعبارات قصيرة وألفاظا جزلة، طغت عليها الأسجاع وصيغ الدعاء.

1- البطرير: الطّاغية المتّمادي فيه.

2- لم تَعدموا: لم تَفقدوا.

3- لا يعدمكم: لا يفقركم.

4- أحمد بن محمد المقري التلمساني، نفح الطيب من غصن الأندلس الرّطيب، تح: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، (لبنان)، ج6، 1967، ص 339.

4- أسباب شيوع فن الرّسائل في عهد لسان الدّين بن الخطيب

لم يكن عصر بني الأحمر -عهد **«لسان الدّين بن الخطيب»**-، أقلّ اهتماما من غيره من العصور الأندلسيّة الفارطة في كتابة الرّسائل، فقد أعطوها جلّ اهتمامهم وعنايتهم بها، ولأهميتها ضمّنوها مؤلّفاتهم باعتبارها ركنا مهمّا في الدّولة. فـ**«لسان الدّين بن الخطيب»** ألّف كتابا سمّاه "بستان الدول" يحتوي على عشر شجرات وكلّ شجرة تعني جهازا معيّنا في الدّولة، مثل الوزارة والكتابة والقضاء و الحسبة ...الخ[1]. وهي عندهم بمثابة صنعة وحرفة كغيرها من الصّنائع والحرف لا تقل شأنا عنهم. فلذلك كما جاء آنفا كاتب الرّسائل عندهم، محلّ تعظيم وإجلال لا يتسامحون معه فيما لو أخلّ بشيء من مقوّماتها، ولا يعفون عنه زَلّه وهم كثيرو الانتقاد عليه. وعلى هذا فقد أمهلوا فن الرّسائل وخاصة الرّسائل السّلطانية فائق اهتمامهم وعنايتهم، حتى إنهم تخيّروا من الرّسائل أجودها وأعلاها وجمعوها في مجموعات كما يجمع ديوان الشعر، ولعل كتاب **«لسان الدّين بن الخطيب»** الموسوم ب **"رَيْحانَةُ الكُتّابِ وَنُجْعَةُ المُنْتابِ"** خير دليل على ذلك، فقد جمع فيها الرّسائل التي كتبها عن سلاطين بني الأحمر وأصبح في المغرب"قبلة أرباب الإنشاء التي إليها يصلون".[2] إذ يقول القلقشندي في هذا الصّدد "ليس في منزلة خدم السّلطان والمتّصرفين في مهماته، أخصّ من كاتب الرّسائل فإنّه أوّل داخل على الملك وآخر خارج عنه، ولا غنى له مفاوضاته في آرائه والإفضاء عليه بمهامه."[3] وهذا إنْ دلّ على شيء، فإنّما يدلّ على المكانة الأدبية والعلمية التي حظي بها كاتب الرّسائل السّلطانية، وبلوغهم درجة من العلم

1- أحمد بن محمد المقرّي التّلمساني، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، ج7، ص 97-98.

2- المصدر نفسه، ج6، ص 164.

3- أبو العباس أحمد القلقشندي، صبح الأعشى في كتابة الإنشا، دار الكتب المصرية، القاهرة (مصر)، ج1، ط1، 1922، ص 101.

والثّقافة والأدب، والتي أهلتهم لتولّي هذه المنزلة العليا والمنصب الرّفيع. حيث تتّسم رسائل السّلطان وكتاباته في كثير من الأحيان، بالإيجاز ما عدا الرّسائل التي يرسلها إلى أمرائه وعمّاله في أمر من الأمور التي تختص بأعمال الدولة، فإنّها تتّسم بالإطناب والإسهاب ووضوح التعبير.[1]

كما شهد فن الرّسائل في القرن الثّامن الهجري، تطوّرا ملحوظا وتشبّعا في موضوعاته واتجاهاته تبعا لتشعّب أمور الحياة في المجتمع الأندلسي ذات القرن. ومهما يكن من أمر فقد تهيأ لأدب الرّسائل من عوامل الازدهار والشيوع، ما بوأه منزلة رفيعة في هذا العهد. ومن هذه العوامل ما يتعلّق بالجانب السّياسي، فلقد نشأ هذا العصر وسط ظروف سياسية طاحنة، ففيه كثرت الفتن والانقلابات، وفيه حروب مقدّسة متّصلة بين أبناء الديانة الإسلامية وأبناء الديانة النّصرانية،[2] حتى كادت رقعة المسلمين تنحصر شيئا فشيئا أمام المدّ المسيحي، وفيه نجدة من ملوك المغرب وتونس لإخوانهم مسلمي الأندلس حينا وقعود عن هذه النجدة أحيانا، وفيه معاهدات صلح ونقض من كلا الطرفين.[3] وتكبد هذا العصر أيضا صراعات ضارية بين السّلاطين، أدى ببعضهم في سبيل تحقيق مطامعه، وظفره على منافسه إلى موالاة أعداء أمّته وملّته. فالحال في هذه البلاد شهد النّصف الأول منه "حروبا سجالا داخليا وخارجيا مع قشتالة وغيرها من دول إسبانيا المجاورة. بينما اتّسم نصفه الأخر بالحفاظ على معاهدات السّلام، والهدنة التي عقدتها دولة غرناطة مع غيرها."[4] و تؤكد كتب التّاريخ أنّه على الرغم من توتر الأوضاع في

1- عثمان موافي، في نظرية الأدب (من قضايا بالشعر و النثر في النقد العربي القديم،ج1، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية (مصر)، 2009، ص 74.

2- عبد العزيز عتيق، الأدب العربي في الأندلس، ص 120.

3- المرجع نفسه، ص 120.

4- أبو الوليد إسماعيل بن الأحمر، أعلام المغرب والأندلس في القرن الثامن الهجري، تح: محمد رضوان الدّاية، مؤسسة الرّسالة، بيروت (لبنان)، ط2، 1987، مقدمة المحقق.

عهد بني الأحمر، إلّا أنّه يعد أكثر العهد زهاء وقوة وتمكنا، فكانت أيامهم في القرن السابع الهجري (منذ سنة 635 هـ) أشدّ تثبيتا لحدود الدولة، وإرساء لدعائمها، ورسما لسياستها، وتهيئة للأسرة الحاكمة و أصهارها، و من يلوذ بها في أنحاء المملكة الفتيّة.[1] وفن الرّسائل بين هذا وذاك، و في زحام هذه الصّراعات يذكي جذوته ويفرض بنفسه، إذ لا يخفى على أحد مدى تأثير الحدث أيًّا كان في تسيير الأدب. ولعلّ الأحداث السّياسية الخطيرة التي باتت تصطّرع في الأندلس وبخصوص في عهد بني الأحمر، الأثر البارز والمباشر في تكوين أدب الرّسائل وتطوّره وتشعّب موضوعاته واتّساع أغراضه. وقد كان لتكتّل الصّدمات بين عرب الأندلس وبين الإسبان المجاورين، وانقسام المسلمين إلى دويلات متناحرة تأثيرا كبيرا في شيوع فن الرّسائل، إذ كان لا بدّ من إذكاء روح الحماسة، وزرع الحميّة في النّفوس للقيام بأعباء الواجب المقدّس، بغية إنقاذ الأندلس والدّفاع عنها. فكانت الرّسالة خير وسيلة لتحقيق هذه الغاية النّبيلة فجعبة هذه الرّسائل "تصف المعارك الدّاخلية والخارجية، و الجيوش وعدّتها، إضافة إلى نقل أحداث الانتصارات والفتوح، ورصد تحرّكات الجيوش ومناوراتها والتحذير من العدوّ و فرقة الصّف."[2] ومن هذه الرّسائل ما صدر عن السّلطان **«أبي الحجّاج»** إلى السّلطان **«أبي العنان المريني»** سلطان المغرب، تتعلّق باستعدادات سلطنة غرناطة الحربية للتّعاون مع المغرب وتهيئة أسطولها البحري لتحصين الشّواطئ الأندلسيّة ردّا لغارات الإسبان المفاجئة، قائلا: **"المقام الذي يجب إلى مرضاته التّسرع... سلام كريم، طيّب برّ عميم... فإنّنا تعرّفنا في هذه الأيام، من خدامكم الوافدين علينا بهديّتكم، ما عندكم من استدعاء الأساطيل**

1- المصدر السّابق ، مقدمة المحقق.

2- عزيز حسين علي الموسوي، النثر الأندلسي (الرّسائل السّلطانية في عصر بني الأحمر)، الدار المنهجية، عمان (الأردن)، ط1، 2016، ص25.

المنصورة من محل إنشائها، و الاستكثار من عدد حركاتها و اقتنائها، وبادرنا لسبر ما عندكم من التّشوّف إلى ما لنا من الأساطيل الجهادية والمقاصد المدادية... نسرع في إصلاحها وتيسيرها، وننظر في إبرام أمورها لتكون مرهفة الحدّ، آخذة أهبتها قبل القصد... وقد كانت عادة والدكم، وأزلف الله إليه، وجددّ من ملابس الرحمة عليه، إن يصدر عنه مكتوب بمقدار ذلك الإمداد وتعيين وضعه من سواحل البلاد."[1] تظهر الرّسالة استعداد غرناطة لمساعدة المغرب عسكريّا، بواسطة أسطولها القوّي الذي يتربع البحر. ويعود ارتباط دولة غرناطة جغرافيا بغيرها من الدّول الأوروبية، السّبب في أنْ تنشأ بينهم معاهدات صلح واتّفاقيات لتنظيم العلاقة معهم، فكانت هذه المعاهدات تنسج في شكل رسائل غالبا ما تتّبع عملا حربيا بينهما، أو بعد انقضاء مدّة إحدى المعاهدات، وذلك راجع إلى العلاقة المتوتّرة بين الطّرفين، والتي تميّزت بالعنف والحروب الدّامية، الدّينية، الجغرافية والعرقية. ومن هذه المعاهدات رسالة بعث بها السّلطان **«أبو عبد الله محمّد الثّاني»**[2] إلى ملك أراغون عام 701هـ، لإبرام معاهدة صلح وصحبة معه، حيث قال فيها بعدما شرع بالبسملة والصّلاة والسّلام على الرسول الكريم وذكر أطراف المعاهدة **"... ليعلم كل من يقف على هذا الكتاب أنّ الأمير أبا عبد الله محمد بن أمير المسلمين أبي عبد الله نصر، سلطان غرناطة ومالقة وما إليها، وأمير المسلمين، ننعم لكم أيّها السّلطان المعظّم (دون خايمي)، ملك**

1- لسان الدّين بن الخطيب، كناسة الدكان بعد انتقال السكان، تح: محمد كمال شبانة، دار الكاتب للطّباعة والنّشر، القاهرة (مصر)، ص 97-98.

2- هو أبو عبد الله الثّاني محمد بن يوسف يلقب بالفقيه، حكم سنة 671ه إلى 701ه توفي إثر مرضه في 1 شعبان 701هـ، يرجع: لسان الدّين ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، تح: محمد عبد الله عنان، مكتبة الخانجي، القاهرة (مصر)، م1، ط1، 1973م، ص 544.

أراغون، وبلنسية، ومرسية، وكند برجلونة، بأن نكون لكم صاحبا وفيّا، ويكون بيننا وبينكم صلح ثابت وصحبة صادقة."[1]

لقد تفاعل الكتاب مع هذه الأحداث السياسية، فصوّرا كثيرا من ملامحها ومظاهرها وما ورد من رسائل في هذا العهد. إذ نلمس من حديثهم تلك الخصومات والاضطّرابات السّياسية وقت ذاك، لذلك فقد تعاظمت الحاجة إلى رسائل تشرح المحن و النّكبات." ففسح المجال أمام الكتّاب الذين أخذوا يشرحون سير المعارك، ويبيّنون نتائجها، ويخبرون بالفتوح، ويبشّرون بها ويهنئون بالانتصارات، ويتغنون بالجهود العظيمة والمواقف الجهادية، والحماسة الفائقة الّتي تحلّت بها الجيوش الإسلامية وقادتها."[2] نخلص إلى القول بأنّ ما حدث من سياسيات ومطاحنات عند بني الأحمر، وما تأججت به نيران الحرب آنذاك، وحثّهم على الجهاد، كان له دورا في إذكاء فنِّ الرّسائل وابتغائه سبيلا لمختلف الأغراض، من صلح ومعاهدة ونصح وإرشاد، وتهنئة بنصر أو تحذير من عدوّ، أو دعوة إلى التّراص ونبذ التشرذم، وكذا التّحريض على الجهاد والذود عن حياض الدّولة. ومن دواعي ازدهار فن الرّسائل أيضا، انتعاش الحركة الأدبية والثّقافية في عهد بني الأحمر، كان ذلك نتيجة الاهتمام البالغ الذي أولاه الحكّام أنفسهم بالعلم والعلماء "فقد عني حكام بني الأحمر بالثّقافة، واجتمع لديهم من الأدباء والعلماء عدد كبير."[3] وقد اختلفت الحياة الثّقافية في عهد بني الأحمر لأسباب تعود إلى طبيعة حياتها، واشتداد هجمة الإسبان الذين أحاطوا بهذه الدولة من كل جانب، مع كثرة الثّورات والهجرات من مدن الأندلس المختلفة إلى دولة

1- شكيب أرسلان، الحلل السّندسية في الأخبار والآثار الأندلسيّة، دار مكتبة الحياة، بيروت (لبنان)، ج2، ص 286-289.

2- فايز عبد النّبي، أدب الرّسائل في الأندلس في القرن الخامس الهجري، ص 144.

3- منجد مصطفى بهجت ، الأدب الأندلسي من الفتح حتى سقوط غرناطة، دار الكتب للطباعة والنّشر، الموصل (العراق)، ط1، 1988، ص 192.

المسلمين الّتي ساسها بنو الأحمر.[1] وعليه فإنّ حكام دولة بني الأحمر كانوا وراء التّقدم والازدهار في الحياة الفكرية والأدبية، على مستوى جميع الأصعدة بما فيها النّثر وبخصوص فنّ الرّسائل، فلم تخل بلاطات الحكام بالأدباء الذين جعلوهم لسان قولهم، والمنافين عن سياستهم الدّاخليّة تجاه شعوبهم، والخارجيّة أمام أعدائهم وخصومهم، ودرجوا على استوزارهم، فكان الوزير نديم الملك ومدير مملكته بآن. "فاعتزّ الأدباء بذلك، وسمت مكانتهم، وحفلت بهم دور الأمراء ودرّ عليهم الرّزق كما اتفق لـ**«ابن الخطيب»**."[2] ولعلّ الذي أسهم في ذيوع فنّ الرّسائل بكثرة في هذا العهد، هو وعيهم بخطورتها فهي لسان حال الدولة وعليها يعتمد ترتيبها، وتوضيب أمورها، وكذا تحديد علاقتها مع الدّول الأخرى، كما أنّ كتابة الإنشاء هي "قوام الملك وضبط قواعده، وهي اليد التي بها الأخذ والعطاء، المنع والإمضاء، البسط والقبض، الوصل والفض، السّر والجهر، والنّهي والأمر."[3] ولذلك فقد عني الأندلسيون بديوان الإنشاء وتراتيبه، وازداد عندهم تطوّرا وولوعا به، باعتبار أنّ المكاتبات السّلطانية تنطلق منه وبذلك فهو أهمّ ما يلتف عليه مدار السّياسة للدّولة. وفي بلاد الأندلس منذ الفتح، لم يكن لديوان الإنشاء وجودا ولا عناية لهم به، حتى استولى الأمويّون على الحكم فأنشؤوا ديوانا للكتابة، وجاؤوا ببلغاء الكتاب. وبعد أن استقرّ الأمر بيد بني الأحمر أخذوا بترتيب هذا الديوان والعناية به، وأعطوه بالغ الاهتمام وعدّوه إدارة مستقلة تابعة للسّلطان مركزها قصر الحمراء، بحيث كان أداتهم الأولى للاتّصال بالشّعب

1- المرجع السّباق ، ص 192

2- جودت الرّكابي، في الأدب الأندلسي، دار المعارف، القاهرة (مصر)، ط2، 1966، ص 63.

3- ضياء الدّين بن الأثير، المفتاح المنشا لحديقة الإنشا، تح: عبد الواحد حسن الشيخ، مطبعة الإشعاع الفنّية، الإسكندرية (مصر)، ط1، 1999، ص 51.

والولّاة وغيرهم من الدّول.[1] وكانوا يحسنون انتقاء الكتّاب الذين ينتظمون في سلكه، فلا يعهد إلا لذي الشّرف والنّباهة من الثّقات. ويذكر أن لحسن اهتمامهم بديوان الإنشاء واختيار كتابه له، هابهم كل من أراد مخاطبتهم من الدّول الأخرى، فلا يخاطبهم ولا يراسلهم إلا من تمرّس في البلاغة والفصاحة، ومنه جاء قول القلقشندي: "إنّ الذي تراعي الفصاحة والبلاغة فيه من المكاتبات السّلطانية في زماننا، مكاتبات ملوك المغرب كصاحب تونس وتلمسان وفاس وصاحب غرناطة بالأندلس..."[2] وبهذا فقد كان لكتّاب الأندلس مدرستهم الخاصة في الإنشاء والكتابة يحتذى بها، أبرعوا وتفنّنوا فيها فأصبحت محلّ تنافس مع غيرهم من الدول، باستقطاب خيرة الكتّاب وضمّهم لديوان إنشائهم. وجملة القول أنّ بني الأحمر قد أدركوا بالفعل أنّ الكاتب ترجمان الملك، والقلم المصيب لكلّ مصيبة، فقد قيل بأنّ الملوك أحوج إلى الكتّاب من الكتّاب إلى الملوك. وعلى هذا فقد ارتعدت فرائص المراسلات، وشاعت المكاتبات، واعتني بها من جانب بلاغتها وفصاحتها وزخرفها اللفظي، واستهدي بها لوصل حلقات الدّولة بغيرها من الدّاخل والخارج.

إجمالا لما سبق ترجع أسباب ذيوع فن الرّسائل في عهد **«لسان الدّين بن الخطيب»** المتمثّل في عصر بني الأحمر خلال القرن الثّامن الهجري إلى:

1- أسباب سياسية متمثّلة في التّداخلات التي عرفتها الدّولة ذاك الوقت مع الدّول المجاورة، وسعيهم للحفاظ على أصالتهم ومنطقتهم وحماية تخومهم من العدوّ الإسباني، فجاءت الرّسائل لتبلغ مقاصد الحروب، وتجهز نفوس الشعوب، و تعمل على زرع الحمية الإسلامية في

1- يوسف شكري فرحات، غرناطة في ظل بني الأحمر، دار الجيل، بيروت (لبنان)، ط1، 1993، ص66.

2- أبو العباس أحمد القلقشندي، صبح الأعشى في كتابة الإنشا، ج 6، ص266.

القلوب، بأن ينبذ غاصب الحدود. ولتدعوَ إلى مختلف الأغراض السّياسيّة من صلح ومعاهدة واستبشار بالفتح والنّصر وتهنئة به وإلى استنجاد وغير ذلك.

2- أسباب ثقافية وعلمية، وذلك لما كان من تشجيع الأمراء والسّلاطين للحركة الأدبية والفكرية، وتقريب الأدباء إليهم، واكتساب ودّهم فهم لسان تعبيرهم ورمز قوّتهم.

3- وسبب متمثّل في العناية المحاطة بديوان الإنشاء وتراتيبه لديهم، والدأب على اختيار أهله مِنْ مَنْ هم أهل لذلك من الأدب والعلم والفكر والثّقافة. فلا يحظى إلا لمن توافرت فيه هذه الشروط، ومنه جاء التّنافس وإثارة القرائح وكثافة الإنتاج الأدبي.

الفصل الأول

الفصل الأوّل

الفصل الأوّل: الرّسائل السّلطانيّة وموضوعاتها في كتاب رَيْحانَةُ الكُتّابِ ونُجْعَةُ المُنْتابِ

تمهيد.

1- الإخبار بالفتوحات الواقعة.

2- التّهاني.

3- الشّكر على الهدايا.

4- الاستنجاد وطلب الإمداد.

5- التّعازي.

6- الشّفاعات.

تمهيد

اضطّلعت الرّسائل السّلطانية بالجانب السّياسي والإداري للدّولة، فكانت صدًى للصِّراعات السِّياسية والظُّروف العصيبة المتمثِّلة في الاضطّرابات والفتن الخارجية وأمور الحكم آنذاك، إذ يُعرف على أنّ عهدة بني الأحمر قد تزامنت مع عديد التّطوّرات الخارجية المتوتّرة، والتجاذبات مع المدِّ الأجنبي السّاعي للاستلاء على الحدود العربية الأندلسيَّة. ولهذا فقد عالجت الرّسائل كل هذه العلاقات والتنظيمات الدّاخلية والخارجية، بحثا عن مصالح مملكة غرناطة المختلفة من خلال توثيق صلاتها بالعالم الإسلامي، وتحقيق سيادتها وحماية حدودها الجّغرافية وكذا الحفاظ على وجودها والدّفاع عن كيانها الإسلامي والحضاري. ومن هنا تنوّعت وتباينت موضوعات الرّسائل التي حبرها **لسان الدّين** عن سلاطينه، فقد كانت ظروف الأيام هي التي تخطُّ حروف المكاتبات. فجاءت أغراضها على تهاني وفتوحات، وأخرى في التعازي عند الحوادث والنّائبات ورسائل الاستنجاد وطلب المعونات، ومجموعة حوت تشكرات على مختلف العطاءات وثانية عن الشّفاعات. فهذه أبرز موضوعات الرّسائل السّلطانية في كتاب ريحانة الكتّاب. وهي وإن اختلفت غايتها التي أُنشئت لأجلها إلاّ أنّها تتماثل إلى حدّ ما في عناصرها البنائية وهيكلها الخارجي.

1- الإخبار بالفتوحات الواقعة

ما إن يتم استعادة جزء مما أخذ وسلب من الحصون الإسلامية، حتى تبعث الرّسائل إلى مختلف الأقطار الإسلامية يبشّرهم بها السّلطان بالفتح والاسترجاع، فينقل الفرحة والبهجة إليهم، ليذكي فيهم الحماس والأمل والأسوة تيمنًّا بالمزيد من الفتوحات. والكاتب في هذا الصدد يحتاج إلى تصريف فكره فيها وتهذيب معانيها لأنها تتلى من فوق المنبر على أسماع السّامعين وتجعل نصب عيون المتّصفّحين.[1] من هذه الرّسائل ما نصه **«ابن الخطيب»** في مخاطبة ملك المغرب **«أبي العنان»** معرّفا عن **أمير المسلمين «أبي الحجاج بن نصر»** بفتح حصن قنيط قائلا:**" المقام الذي لأنباء النصر اهتزازه وارتياحه، وفي سبيل الله عزمه وبأسه وسماحه، ولجهاد أعدّائه تحنُّ جيَّاده وتكيل رماحه، ومن أفقه الأعلى تنشأ سحابه وتهبُّ رياحه. مقام محلِّ أخينا، الذي نعظّمه ونجلّه، نثني عليه بما هو أهله، السّلطان الكذا، أبقاه الله ومقدِّمات رفده صادقة الإنتاج، ودليل سعده غير معارض في مناط الاحتجاج، وحرم عزه ممنوع الحمى، مرفوع السّياج، وعقبان راياته تظلّ من حماته أسود الهياج. معظم مجده المعتّد بودّه، الدّاعي إلى الله في اتّصال سعده، الأمير عبد الله بن يوسف بن أمير المسلمين أبي الوليد بن اسماعيل بن فرج بن نصر، سلام كريم عليكم سلاما يودّه البدر وشما في غرّته، ويكتبه الصّبح الطلق معودّة في طُرَّته. يخص مقامكم الأسمى ورحمة الله تعالى وبركاته".**[2] يبدأ الكاتب رسالة مرسِلها بمدح مقام المرسل إليه متخيرا لذلك ألفاظا تشير إلى مبتغى الرّسالة وهو الإعلام بالفتح والنّصر، فأثنى على مقامه بأنه يهتز لأخبار النّصر ويرتاح لها، وأنّ عزمه وبأسه مسخّرين سبيلا لله في مكابدة الأعداء وردّ الأخطار. ثم يذكر اعتداد

1- أبو العباس أحمد القلقشندي: صبح الأعشى، ج8، ص 275.
2- لسان الدّين بن الخطيب: ريحانة الكتاب ونجعة المنتاب، تح: محمد عبد الله عنان، مكتبة الخانجي القاهرة (مصر)، ج1، ط1، ص 134.

السّلطان المغربي على الله سبحانه وتعالى في جهاده بكل وسائله التي تحقق له الظّفر.

اعتاد الكتّاب على هذا النّوع من الافتتاحات بأن يذكر في مطلع المقدّمة ما يبرز للقارئ مضمون الرّسالة وغرضها فكل من كلمة النّصر، عزم، بأس، الجهاد، الجياد، تشكّل حقلا دلاليا للحرب والنّزاع. ويخلص الكاتب من المقدّمة إلى نصّ الخطبة بقوله: **"أما بعد حمد الله الذي يسرَّ لنا من لطفه الخفي سبيلا واضحا ومنهاجا وجددّ علينا ملابس الإقبال بسعادة ملككم السّامي الجلال، وقد كادت ترق انهاجا، فاتح أبواب الأمل، إذا سامتها الشّدائد أرتاجا، ومسخّر ضروب الأيام، وقد أعيت جماحا ولجاجا والصلاة على سيدنا ومولانا ورسوله."**[1] يبسط الحديث في حمد الله الذي يسرّ لهم من لطفه الخفي سبيلا واضحا، ومنهاجا في لقاء عدوّهم ومجاهدته، من بعد ما سامتهم وأنهكتهم شدائد المحاصرة والانغلاق. فانفرج الأمل واستيسر الأمر من بعد عسره بأن أنجز الله لهم وعده، في الاعزاز والظّفر والإظهار والاستبشار بموطن النّعمة في الفتح العظيم.

يفيض بعد هذا الكاتب بذكر سبب كتابه هذا، وأنه من حمراء غرناطة متوكّلا ومعتصما بالله، بقوله: **" فإنا كتبنا إليكم كتب الله صنعا يسحب من أذيال المسرّات المستمرّات عصبا وديباجا... من حمراء غرناطة وعندنا من الثّقة بالله عقود لا يتطرّق إليها انفصام، ومن التوكل عليه حصن حصين إليه في الشّدائد والاعتصام. وجنابكم بعد الله، هو الملجأ الأحمى والمقام، ولمدّونة كتابه القول، إذا اشتدّ العدو والخصام وأنه تقدمت مطالعة مقامكم بما سنّاه الله لجيش المسلمين في الغزوات المنصوصة عليكم من الصنع الكريم."**[2] يخبره بنصّه هذا

1- المصدر السّابق، ص 134
2- المصدر نفسه، ص 135-136.

مبتغى رسالته ومدلولها، بأن جاءتهم تحمل لهم البشرى بما أنعمه الله على جيش المسلمين في غرناطة بالغزو الكريم والفتح المبين لحصن قنيط. بعزّة دينهم وحسن توكلّهم واعتصامهم بالله وصدق جهادهم فيه.

يتمّ مضمون رسالته فيقول:**"... وأنهم تعاهدوا ما بينهم من ديار الكفر معاهدة الغريم، وأذاقوا من حلّوا بساحتهم من أحزاب الضلال طعم الوبال، بين حراق الغلات، وسبي الحريم.... ورأينا الآن أن نصل فيهم النّكاية الماضية بالآتية، ونقرن الغزاة الصايفة بالشاتية، ولا نقصر العزم على الفصول المواتية. فأغزينا بالجيش خاصتنا الحظيّ لدينا، القائد أبا المنعم..... وتبعه الجيش يكافحه جيش المزن، وقد فرق قباله، وطور بأعلام البروج جباله وصمم لوجهه أنفة من حل العزم المعقود، وثقة باشتمال المكروه على المودود".**[1] يذكر الكاتب الأسباب التي أودت بالحرب على العدوّ، من بعد بطشهم وقهرهم وظلمهم إليهم وسبي نسائهم، والتكالب عليهم وإظهار الفساد في أرضهم. فما كان منهم إلا أن يلحقوا الضرر بهم، وينافوا عن أرضهم ومقاتلتهم باستعانتهم في الغزو بجيش جرَّار، مسمًّى بجيش المزن بقيادة أبي المنعم لردّ الصّاع صاعين. **"فنازل إليه بعد أن تلاحقت إليه الجيوش الغربية، حصن قنيط، وهو أشهر تلك الحصون الأطيبية ذكرا، وأعظمها نكرا، وأشدّها امتناعا، وأمدّها في نكاية المسلمين باعا.**[2] يشيد بأهمِّية هذا الحصن لمنعته وقوته وفائدة إيالته للمسلمين، فنازلوا إليه وزاحموا أعداءهم للحصول عليهم والتّمكن منه. **"فشرعت العزائم المسلمة في قتاله وسالت جداول السّيوف إلى إطفاء نار إضلاله وفوقت السّهام إلى برج سوره وجلاله وأخذ أمر الله عن يمنه وشماله، والجوّ مع هذا الحال مرعد ومبرق، والنّهار قد تجهم وجهه المشرق، وعارض الوبل قد خالط عارض**

1- المصدر السّابق، ص 136.
2- المصدر نفسه، ص 136.

النيل"[1] يفيض بما جال بين الفريقين من قراع وصراع ومضاربة ودفاع، ويسرد سير المعركة الحامية الوطيس التي دارت وكيف ظهر فيها المسلمون ببسالتهم وعزمهم وانتفاضتهم بوابل جداول السّيوف والنّبال في جوّ مكفهّر ترعد سماؤه وتبرق. **"فرشفت البلل ونقعت الغلل، وأزاحت الكسل، واستأنفت الفعلة العمل، وعاودت المقاتلة الأمل، وحكمت آلات النقب في شارة سوره، فقعدت وخرم أساسها..."**[2] وبقدرة القادر أغاثهم بزخات المطر تبدّت بها الغمام وانكشفت الشّمس من نقابها وبرزت من حجاب سحابها. فبهذا التّصوير فكأنّما ساعدهم على تكميل مرادّهم في القتال ومشاهدة الطّراد. ثم أورد قائلا: **" وكفى الإسلام شرّهم بعزّته، وتخلّص من كان به من أسر المسلمين، ولحقوا بأهليهم سالمين. ولمّا كيّف الله هذا الصنع، قابله معظم مقامكم بالشّكر الذي يستدعي المزيد، ويقرب الأمل البعيد، وعرّف به مقامكم الأسمى ليأخذ من ذلك بالحظ الاوفى....فإن نسب هذا لفتح إلى عمود ملككم نسب صحيح، وشاهده في الانتماء الى معاليكم عربيّ فصيح، فإنّما هو ثمرة إمدادكم، عرض على مقامكم الأسمى ليأخذ من ذلك بالحظ الأوفى. ولا خفاء بما هو عليه الإسلام في هذه الأقطار الغريبة من انقطاع المدد وتعذر العّدد، والقلّة التي ليس بينها وبين عدوها نسبة من نسب العدد فجميع ما يسنى الله له من الظهور، فإنما هو بركة سلطانكم الأسعد وما تحققه أمّة الكفر من اتّصال اليد بمملككم. .... أبقاكم الله تخلدون الآثار الكريمة في نصره، وتعاملون الله على إظهار دينه وإعلاء أمره. هذا ما تزيّد عندنا، أردنا به إعلامكم وخاطبنا بمضمنّه مقامكم. والله يصل سعدكم، ويحرس مجدكم، والسلام الكريم عليكم ورحمة الله".**[3] يذكر الكاتب هنا ما أظهره الله تعالى عليهم من تكامل النّصر ودلائل الظّفر، وما انجلت عنه الحرب من دخول المسلمين

1- المصدر السّابق ، ص 137.
2- المصدر نفسه، ص 137.
3- المصدر نفسه، ص 138.

الحصن واستلامهم قصبته وانفلال العدوّ من المقاتلة وتخليص أسرى المسلمين ورجوهم لأهلهم سالمين. ورفعهم لرايات الاسلام معليّين كلمة التّوحيد بدين الله كفى الله المؤمنين شرّ القتال وأظهرهم عليهم. ويختم الكاتب رسالته بأن هذه طليعة الفتوح وعمّا قريب سيستوفون من العدوّ الدّيون. وأنّ هذا الصّنيع لا يخصّ أهل الأندلس وحدهم بل جميع المسلمين في مختلف أصقاع الأرض، لأنّهم وإن اختلفت مواطنهم إلا أنّها اتّحدت مقاصدهم باتّساع رقعة الإسلام وإعلاء كلمته. ومن رسائل الفتوحات أيضا رسالة بعث بها السّلطان **«الغني بالله»** إلى صاحب مكة، معرّفا إيّاه بجملة الفتوح التي فتح الله بها على المسلمين بالأندلس لذاك العهد، وذلك في شهر ربيع الأول من عام أحد وسبعين وسبعمائة. بقوله: **" المقرّ الأشرف، الذي فضّل المحال الدّينية بحلُّه وكرم في بئر زمزم، مهبط اسماعيل** ﷺ**، نهله وعلّه، وخصّه بإمرة الحرم الشريف."**[1] يقدّم الكاتب لموضوع الرّسالة، بتبجيل وتقديس المكان المعظّم مكة المكرّمة مقام أبينا إبراهيم ومهبط إسماعيل عليهم السلام. معرّفا صاحب مكة بفتح حصن "برغة" و"رندة" و"قرطبة و"قنبيل" وكانت هذه الفتوحات في أوقات متفاوتة. **"وإلى هذا حرس الله مجدكم ومقرّكم الأشرف....فإن الجهاد والحجّ أخوان يرتضعان ثدي المناسبة ويكاد أن يتكافآن في المحاسبة سفرا وزادا ونية واستعدادا وإتلافا لمصون المال وإنفادا، وخروجا إلى الله لا يؤثر أهلا ولا دلوا ويفترقان محلّان ويجتمعان جهادا ويرفعان للملّة منارا ساميا وعمادا."** [2] يعقد الكاتب مقارنة بين الحجّ والجهاد، وما يتماثلان به كونهما في سبيل الله ويؤثر لها المال والزاد والنّفس والجهد. إذ يرفعان للإسلام ساسا عاليا ومقاما ضافيا، والمسلم الحق من يسعى لهما كفاحا ابتغاءً لمرضاة الله و الثواب الجزيل. ومن ثمّ ينتقل إلى ذكر الحال التي في الأندلس من مجاهدة الأعداء ودوام الاستعداد، على قلّة المسلمين

1- المصدر السّابق ، ص 206.
2- المصدر نفسه، ص 209.

وكثرة الكفار، بقوله: **"... ونحن نعرّفكم بأحوال هذا القطر المتمسّكة فروعه بتلك الجرثومة الرّاسية، الممدودة أيديه إلى مثابتها... فاعلموا أنّ الإسلام به الحيّات في سقط حرج وأمر مرج، وطائفة الحقّ قليل عددها، منقطع إلا من الله مددها، مستغرق يومها في الشدّة وغدها، والطّلائع في الجبال تنوّر .... والصبيان تدرَّب على السّلاح .... وآذان الخيل مستشرفة للصياح ... والآذن تجيبها النواقيس مناقضة ... وعدد المسلمين لا يبلغ من عدد الكفار.."**[1] يطلع الكاتب المخاطب بالظروف الصّعبة التي تحيط بهم، وما ينتاب قطرهم من ترّصد وخطر المهاجمة والإجهاز عليهم، لقلة عددهم و كثرة، إلا أنهم برغم هذا لم يثنيهم عن عزمهم واستعدادهم بكل ما لديهم من عتاد ورجال للغزو الإسلامي، فصبيانهم يدّربونهم على القتال منذ الصِغر، والخيول مجهزة مستشرفة للصّياح والنّهيق، والآذان لازالت تجيب النواميس دلالة على أن نور الله لا ينطفئ ومادامت النيّة صادقة فبلوغها غير مكلّف. يتمّ شرحه بقوله: **"....ففتحنا مدينة برغة الفاصلة كانت بين البلاد المسلمة، والشّجى المعترض في نحر الكلمة... ثمّ نازلنا حصن أشر، ركاب الغارات الكافرة، ومستر الشّوكة الوافرة.... ثم قصدنا مدينة أطريرة بنت حاضرة الكفر، وعرين أسود الغلّب وكناس الظّبا القفر، ففتحناها عنوة أضرمت البلد نارا، واستأصلت أهله قتلا وأسارا.. ونازلنا مدينة جيّان وشهرتها في المعمور، تغنى عن بسط مالها من الأمور، ففتحها الله عنوة وجعل سبيها للاسترقاق، ومقاتلتها للبيض الرّقاق. وغزونا بعده مدينة أبَّدة، فكانت أسوة لها في التّدمير... ثم نازلنا مدينة قرطبة، وهي أمّ هذه البلاد الكافرة، ودار النّعم الوافرة،... ثم فتحنا بعدها ثغورا مقفلة الأبواب، ومعاقل متعلّقة بالسحاب، كحصن روط، وحصن الحوار، وحصن قنبيل، أمَّن الله**

1- المصدر السّابق، ص 210.

جوارها، وعمّر بالمجاهدين أقطارها..."[1] شرع الكاتب من خلال هذا النّص إلى ذكر المدن والحصون التي فتحت في تسلل تاريخي، واصفا كل موقع من المواقع التي تُولي أمرها ونصرتها من قبل ومن بعد. وبعد سرده التاريخي لهذا الفتح المبارك يخبره بأنهم عوضوا النواقيس بكلمة الإيمان، وأنه قد بعث منها شيئا إليهم ممّا قدروا على حمله ونقله، ومرادهم من هذا هي أن تعرض على مجتمع الوفود في موسم الحجّ، تذكرة وتبصرة للنّاس تستدعي منهم أن يمدّوهم بالدّعاء في ذلك المقام الكريم.

رصدت رسائل الفتوحات الصّراع التّاريخي العقائدي الدّائم بين المسلمين والنّصارى، فكانت المسحة الدّينية تغلب على طابعها، من استعانة بالله وحثّ على الجهاد والصّبر على البلاء ومكابدة الأعداء وهو" من أعظم المكاتبات خطرا، وأجلّها قدرا، لاشتمال أغراضها على إنجاز وعد الله تعالى الذي وعد به أهل الطاعة في إظهار دينهم على كل دين، وتوفير حظّهم من التأييد والتمكين."[2] لذلك فقد تميزت عن غيرها من الموضوعات بالإطناب والإسهاب لما يتماشى مع موضوعها المستدعي لذلك ففيها كثرة التحميدات والدّعاءات وشروحات لسبل النّصر والنجاح.[3]

2- التّهاني

يذهب الكاتب في هذا الغرض إلى بسط الكلام في شكر الله وتعظيم النصر، وذكر ما يتّسم به الممدوح من قوة وبأس ومنعة وتجلّد وإقدام، وما لجيشه من إمدادات النّصر عدّة وعددا ، والتهويل بذكر العدوّ وصف حشده وعدده وغير

1- المصدر السّابق، ص 210-211.
2- أبو العباس أحمد القلقشندي، صبح الأعشى، ج8، ص 275.
3- لمزيد من الامثلة، ينظر: رّيحانة الكتّاب، ج1، ص 128- 140- 171.

ذلك ممّا تقتضيه عظمة النّصر وحال الممدوح.[1] أما في التّهنئة بالشّفاء من المرض فيظهر المرسِل سعادته وسروره، ويشارك المخاطب فرحته باستعادة عافيته. ومما كتبه **«لسان الدّين بن الخطيب»** في هذا الغرض عن السّلطان الأندلسي **«الغني بالله»**، رسالة بعث بها إلى سلطان مصر بعدما انتهت إليه أخبار مدينة الاسكندرية بدخول العدوّ قبرس، ثم رجع المسلمون إليها وتدارك السّلطان أمرها ورام بأخذ الثأر من العدوّ، فأنشأ الأساطيل وأجهز بهم وظهر عليهم ونال منهم قائلا: .. **"أما بعد حمد الله الذي جعل قلادة الإسلام على الدوام، آمنة من الانخرام والانتشار، مفصلة النّظام بحرز المآثر العظام والآثار.... فإنا كتبنا لمثابكم السّلطانية ذات العزّ الأسمى، والصّيت البعيد المرمى ...بحمراء غرناطة دار ملك الجهاد بجزيرة الأندلس، وإلى الله عنها الدفاع وانار بمشكاة نوره الذي وعدّ بإتمامه ، الأعلام منها والأيفاع، ووصل لها بشرف مخاطبتكم الارتفاع والانتفاع، حتى تشفع بتهانيكم الأوتار ونور الاشفاع..... والحال كما علمتم بحر زاخر الأمواج، وجياد ضمرتها مصابرة الهياج ...فالنّفوس إلى الله تجهز وتسلّم والصّبيان في المكاتيب تُدرّب على مواقف الشهادة وتُعلّم،... والحال تزجي بين الحرب والسلم ... وارتقاب عاقبة الصّبر على حماة الدبر... وسوّل لهم الشّيطان كيادة ثغر الاسكندرية شجى صدورهم ومرمى آمال غدورهم ... ليهتّموا ثغور الإسلام بصدمتها، ويقودوا جناب السّواحل في رمّتها ...ويتلقفوا في القدس كرّة الكرّة... ويشيّموا سيوف التغلّب على الشّام... فما هو إلا طما جرادهم، وخلص إليها مرادهم ...حتى اشترك الشّرك بعض أسوارها، ونال النّهب بمستطرف ديارها...وذعر النّاس، وأرى الشدّة من يتدارك بالفرج ...ونصر حزب الإسلام، من لا غالب لمن ينصره، وحصر العدّ وبخصره ...وظهر الحقّ على الباطل ...فخرج العدوّ الخاسر عمّا حازه،**

1- ينظر: أنيس المقدسي: تطور الأساليب النثرية في الأدب العربي، الدائرة العربية، بيروت (لبنان)، ج1، دط، دس، ص230.

والسّيوف ترهقه حيث تلفيه، والسّهام تثبته وتنفيه...فبادرنا عند تعُّرف الخبر المختال من أثواب المسرّة في أبهى الحبر، المُهدي أعظم العبر، إلى تهنئتكم تطير بها أجنحة الإرتياح...وما زادنا بُجحا بهذا الفتح وسرورا زايدا بهذا المنح، ما تحقَّقنا أنه يشر شفقة المسلمين لهذا القطر الذي لا يزال يَطرُقه من طَرق أهل الاسكندرية على مرّ الأيام... والصريخ إلا من عند الله الذي لا يحسب... والله لا يقطع عن الجميع عوائد آلائه..."[1]، بدأ الكاتب رسالته بما يناسب المقام، فحمد الله تعالى وصلّى على نبيه المختار، ثم ذكر الحال التي استدامت عليها الأندلس من مكابدة جيوش الاسبان والاستعداد لردّ الخطر الدّاهم عليهم، ثم يشير بعدها إلى حادثة الإسكندرية، بحيث يشترك المسلمون في الدّفاع عن أرضهم في سبيل لله، بعد ذلك يقدّم صورتين متقابلين؛ حين دخل الإسبان المدينة وما أحدثوه من نهب وهدم وأثره السّلبي في نفوس النّاس، ثم يصف الحال التي أعقبت خروج الإسبان، وفي الختام يظهر مدى انبساطه وانشراحه بهذا النّصر التي حازت به مدينة الإسكندرية معتذرا عن عدم مقدرته المجيء، وهذا بسبب الأخطار التي تهدد غرناطة فاكتفى ببعث رسالة تبلغ المقصود. ثم يدعو الله تعالى لتوفيق السّلطان مع الإشارة إلى حاجة الأندلس إلى المساندة من جميع المسلمين لأنّها ليست ببعيد من هذه البلاد العربية التي تمّ تحريرها. ويتكرّر هذا البناء في أغلب رسائل التّهنئة بالنّصر ويكون الاختلاف في التهنئة بالزواج أو الشفاء بأن يتحدَّث المرسِل وكأنه هنّأ نفسه بهذه المناسبة السعيدة ويرتكز على الحدث السّعيد واصفا إيّاه بمبالغة كبيرة.[2]

1- لسان الدّين بن الخطيب، ريحانة الكتّاب،ج1، ص 297-298.
2- لمزيد من الأمثلة، ينظر: ريحانة الكتّاب،ج1، ص 216- 225، ج2، ص18

3- الشّكر على الهدايا

ترتبط رسائل الشّكر الصّادرة عن ديوان الإنشاء بالرّد على ما يَرد السّلطان من هدايا اعترافا بالجميل على هذه الهديّة، وأثرها البالغ في ازدياد قوة المسلمين المادية والمعنوية، وكونها سببا في صمودهم وانتصارهم ودلالة على مشاركة أصحابها في الجهاد والدّفاع عن الأندلس. ممّا يؤكد وحدة الأمّة في ردّ الأخطار التي تهدّدها.[1] ومن رسائل الشّكر رسالة كتبها **«لسان الدّين»** عن السّلطان **«أبي الحجاج»** جوابا على هدّية بعثها السّلطان **«أبي العنان»** مشتملة على خيل وعدد من المهنّدات والذّهب والمال. قائلا: **حمد الله الذي جعل الشّكر على المكارم وقفا، ونهج منه سبيلا لا يلتبس ولا يخفى، وعقد بينه وبين المزيد سببا... وجعل الموّدة في ذاته مما يقرّب إليه زلفا، مربح تجارة من قصد وجهه بعمله ومبلغه من القبول أقصى أمله، حتى يرى الشّيء ضعفا، والواحد ألفا وناصر هذه الجزيرة من أوليائه الكرام السّيّرة، بمن يوسعا فضلا وعطفا، ويدني ثمار الآمال اجتنا وقطفا، والصّلاة على سيدنا ومولانا محمد النّبي العربي الكريم....فإننا وصلنا كتابكم الكريم الإفادة، مصحبا بالهدية التي صحبها الكمال، وصدقت في احتفائها واحتفالها الآمال، واشتملت على نكايتي العدوّ الخيل والمال... ويا لها من هدية اتخذها الناس يومها عيدا وموسما بعيدا، وعزما رآه العدّو قريبا، وكان يحسه بعيدا."**[2] يبدأ الكاتب نص رسالته بحمد الله الذي ألهمنا حسن الشّكر على المكارم المهداة، وأودع فينا سبيلا لرّد الجميل ولو بالاعتراف به فقط. وجاعل الموّدة ما يقربه إليه زلفا ثم يذكر كيف استقبل شعب الأندلس الهدّية بالأفراح والاحتفال لها واعتداد يومها يوم عيد، لعظم إفادتها لمساهمتها في النكاية على العدوّ والانقضاض عليه. وبعدها يذكر مجموعة من مواصفات الهدية،

1- ينظر: عزيز حسن علي الموسوي، النثر الأندلسي، ص 26، .
2- لسان الدّين بن الخطيب: ريحانة الكتّاب،ج1، ص 404.

فيصف الخيول على أنواعا التي وردتهم بقوله: **"... ناشئ في الحلية وهو في خصام مبيت، من أشهب للشّهب فارح ولإحراز الغايات مسارع، حاسر في شكل دارع، كأنّما خلعت عليه البزاة البيض صدورها.... وأشقر عسجديّ اللّباس، شعلة من شعل الباس، كأنّ أذنه ورقة الآس، وغرَّته الحبابة الطافية في الكاس. وأحمر ورديُّ الأديم، حايز في حلبة الحسن مزية التّقديم، كأنّما صنع من العندم، أو صبغ بالرّحيق المغدَّم ....وكُمَيت ما في خلقه من أمت، كأنه قطعة من الغسق خالطت دهمتها حمرة الشّفق. وقرطاسيٌّ درَّة سمع استحسان الغرر فجاء وكلّه غرّة، كأنّه أُفق الفجر."**[1] يصف الكّاتب الخيول المهداة إليهم على أشكالها، فمنها أشهب مسارع لإحراز الغايات المدرّكة كشهب السّماء في تطايره، وآخر عسجدّي اللّون أي ذهبيّ اللّون شبّه أذنه بورقة نبتة الآس لرقتها، وخيل أحمر ورديّ يلازم حلبته ويتقدّمها إذا ما استدعته الحروب، و كميت وهوما كان لونه بين الأسود والأحمر كقطعة الغسق في أولّ ظلامها مسّتها خيوط شمس الغروب. ويسهب في ذلك واصلا إلى وصف السيوف، بقوله: **وكلّ صقيل الفرند المنسوب إلى الهند، يخطب من الكلام بمقتضبه، ويضحك من الرّوع عند غضبه، ومن الآلات كل مائلة في المرآى الجميل."**[2] ويسم السّيوف المنسوبة إلى الهند بأنّها مصقولة مشحوذة يُرى فيها انعكاس الضوء من شدّة ذلك، وأنها تخطب بمقتضب الكلام وترّوع حال غضبه وانسلاله، ومن ذلك من مواصفات حدة السّيوف الطّاعنات. وفي الختام وبعد هذا التّوصيف الدّقيق والتغني بالهدية وإظهار البهجة بوصولها، يعرب عن عجزه في ردّ الجميل فيكله إلى الله تعالى مادام كل هذا في سبيله وقبوله، فهو خير جاز ومعط **" فمن للّسان الشّكران أن يوفّى حقاّ أو يهتدى في هذه البيداء طرقا، إنّما نكل الشّكر لمن سمحتم بذلك المدد في سبيله وأملتم فيه**

1- المصدر السّابق، ص 405.
2- المصدرنفسه، ص 406.

موهبة قبوله."[1] كان الكتّاب في هذ الغرض من الرّسائل يرتكزون على إظهار ما يصلهم من رسائل على أنها من أبواب الإعانة على الجهاد، وكذا إبراز قصورهم عن توفيّة حقّ مرسليها من الثّناء والعرفان بالجميل، لذلك كانوا يُعزون الشّكر والثّناء لله سبحانه وتعالى كنوع من أدب المخاطبة مع مرسليها. وهذا ما كان ظاهرا بجلاء في هذه الرّسالة، فقد كانت مودّعة بالاعتراف بقدر الموهبة (خيول وسيوف مع ذهب ومال) معرّبا عن كريم سخاء المحسن إليهم وهذا من دواعي الكتابة السّلطانية في موضوع الشّكر؛ إذ " ينبغي للكاتب أن يفتن بها و يقترب معانيها و ينتحل لها من ألفاظ الشّكر أنوطها بالقلوب، لتستيقن نفس المتفَضل أنه قد اجتنى ثمرة تفضله، وحصل من الشّكر على أضعاف ما بذله من ماله وجاهه.[2] وعليه كانوا يعمدون غالبا إلى الإطناب في وصف الهدايا لإبراز مدى صداعا في النفس، وأثرها في دعم المقاتلين المجاهدين، كما كانوا يعمدون إلى الإعلاء من شأنها وتخيّر فضل المواضع للإفادة منها تقديرا وتعزيزا لمرسلها، وبيان مدى مساهمته في الجهاد في هذه البلاد.[3] وعلى منوال وسبيل هذه الرّسالة بعث السّلطان **«الغني بالله»** إلى صاحب تونس جوابا على هديّته المتمثّلة في جفنة من الطّعام. جاء فيها: **" فإنّا وردنا على بابنا فلان... ووصل صحبته ما حملته جفنة من الطّعام إغاثة لهذه البلاد الاندلسيّة .... وأغريتم عمّا لكم في سبيل الله من إخلاص النّية، .... وأنَّ عزمكم في الإعانة والإمداد على أولها، ومكارمكم تنسي الماضي بمستقبله، فأتينا على قصدكم الذي أخلصتموه وهذا العمل البَر الذي خصصتموه، وقلنا لا ينكر الفضل على أهله، وهذا بِرّ صدر عن محله، فليست إعانة هذه البلاد الجهادية يبدع من مكارم جنابكم**

1- المصدر السّابق ، ص 406.
2- أبو العباس أحمد القلقشندي، صبح الاعشى، ج9، ص 183.
3- لمزيد من الأمثلة، ينظر: ريحانة الكتّاب، ج1، ص 377- 392- 418.

الرفيع الإشارة فيما أسدى على الأيام من حسن الصنيع."[1] وصف الهدّية بأنها بادرة خير وطليعة لمواهب كثيرة في سبيل إخلاص النّية في المساهمة في الجهاد سبيلا لله. وذكر كيفية الإفادة منها في دعم المجاهدين، لأنّ ذلك أفضل الوجوه في تصريفها، لتكون خالصة لوجه الله. وإشارة إلى ما لقيته هذه الهدّية من تقدير لدى الأندلسيين، وتقديرا لمرسلها في اختيار أفضل السبل في إنفاقها.

4- الاستنجاد وطلب الإمداد

عانت دولة غرناطة من حروب دامية، عقائدية، سياسية وجغرافية دأبت على شنّها الدُّول النَّصرانية المجاورة لها وقتذاك، بهدف اقتلاع الحصون الإسلامية الأندلسيّة والسّيطرة عليها. فكان القلق عليها يحيق بالقلوب الغيّرة على مكانتها لذلك كان السّلاطين يعملون على إرسال الكّتب والوفود حثّاً على الجهاد والدّفاع على هذه البقعة المسلمة، التي ترنو للعيش بسلام فتصارع لأجل ذلك الأعداء. وعليه كانوا يستنجدون بإخوانهم المسلمين من أقطار خارجية، يطلبون مساعدتهم في تقديم المدد بالعدَّة والعدد، لتمكينهم من الوقوف في وجه الطُّغيان النَّصراني على بلاد المسلمين. ومن ذلك ما كتبه **«ابن الخطيب»** عن السّلطان **"«أبي الحجاج»"** موجَّهة إلى عدد من السّلاطين من خارج البلاد وداخلها، منهم حاكم الدّولة المرينية بالمغرب والسّلطان المجاهد **«"أبو الحسن»**، وإلى أمير المسلمين **«أبي يوسف»**، وكذا السّلطان **«الأمير عبد الله»**. عندما أحسَّ بحركة طاغية في شأن جبل الفتح ومدينة رندة فخاطبهم مستعينا ومستنجدا، فابتدأت رسالته بما يناسب المقام **" من حمراء غرناطة حرسها الله ولا زائد بفضل الله سبحانه، ثم بما عندنا من معرفة مجدكم الذي أقلَّ الملك بنيانه ورفع شأنه، إلا ما يرجى من عوائد الله الجميلة وصنائعه الكفيلة.... فموجبه إليكم أنَّ هذه**

1- لسان الدّين بن الخطيب: ريحانة الكتّاب،ج1، ص 415.

الجزيرة الأندلسية، من لدن أذن الله في افتتاحها بسيوف هذه الأمّة و رماحها، وأطلع في آفاقها القِصيَّة لهذ الأمّة المحمّدية، نور صباحها، حتى تبوَّأها الإسلام دارا، و حمد فيها استقرارا، وملأ هضابها ووهادها أنوارا..."[1] ذكر الكاتب كيف أنعم الله تعالى على هذه الجزيرة بالفتح الإسلامي فأضحت منورة بنوره، واعتزَّت بعزِّه، وظفرت بعظمته، وحفلت ببركته، وأوسع فيها من دعا مع الله إلاها آخر هوانا وصغارا، إلا أنّها تطاولها أيدي العدوّ النّصراني وطمعوا فيها **"وصار إلى نظرهم جملة من بلادها مثل الجبل و مربلَّة وما إلى ذلك...ليكون محطّ رجال المدد وستقر ما يجيزونه من الفرسان و العُدد. فقر جنابها، وقويت أسبابها، وأعدُّوا لغزوها ركابا، ولجهادهم الأرضي بابا..."**[2] وصف الكاتب الحال التي تبيت فيها غرناطة من تكالب العدوِّ ومطمعه في النّيل منها والّسعي لغزوها، مستخدما جانب التّذكير ببطولات أسلافهم الجهادية الذين نصروهم بجيوشهم وأساطيلهم، وآثروا النَّفس والنّفيس في سبيل إخراج المستعمر الغاصب حتى علم العدوّ بأنَّ لها ناصرا عزيز الأنصار فتولَّى عنها. **"..فكان من عزم السّلطان المجاهد الأرضى جدّكم الأعلى، ما هو معلوم، وفي صحف الفخر مرسوم، من اقتحامه لجج البحار الطَّامية، وثبج[3] الأمواج المترّامية ...وفلّ الجيوش الطاّغية...ثم سلك ولده جدّكم السّلطان المعظّم أبو سعيد رحمة الله سبيله، واتّبع دليله، فجهز إلى نصرها جيوشه المنصورة وأساطيله وسرب إليها ماله الجم وقبيله، حتى علم أعداؤها أن لها ناصرا عزيز الأنصار... ثم تلاه والدكم محل أبينا السّلطان المعظم أبو الحسن فجاهد عدو الله فيها حق جهاده... وسمح فيها بنفسه النّفيس وأمواله العظيمة واولاده..."**[4] ومن بعد يدعو الملوك الذين كتب إليهم إلى التّأسي بسنّة أجدادهم، وأن يسلكوا مسلكهم الشّريف في

1- المصدر السّابق، ص 361
2- المصدر نفسه، ص 362
3- ثبج: توسّط
4- المصدر نفسه، ص 362

نصرتها وإمدادها و حماية بلادهم، والمثابرة على تخليد الفخر وإحراز مرضاة الله التي هي أنفع الذخر، مستعينا بجانب التّأثير النفسي والشعور الدّيني حتى تبلغ الرّسالة أثرها في النفس، وشحذ العزائم ولإثارة الحميّة الإسلامية، من خلال ذكره لنكبتهم من نقص العدّة والعدد وشدة بطش ملك قشتالة في الظّفر بمطمعه وآماله فيقول: **"إذ تعرفنا لأنَّ ملك قشتالة قد طمع في تلك البلاد المذكورة، وكلب عليها وحشد قومه إليها، و أعلق بها أطماعه، وحرّك لها أشياعه وأتباعه، وأنّ آماله بها حائمة، والحركة إليها في أرضه قائمة، فإن من بها من الحماة وذوي المرتبات قد اختلّت أحوالهم، بسبب ما تأخر من واجباتهم وتعذرّ في هذه المدّة الطّويلة من مرتباتهم، فتبددّ الكثير من عددهم، وضاع ما توفّر على الأيام من أسلحتهم و عُدَدِهم، واشتدَّ الإشفاق على تلك البلاد المسلمة أن يعالجها هذا العدد بانتهاز فرصة، ويجرِّع العباد والبلاد بالله أفظع غصَّة ...ويستبيح حماها، واستمساكها بذلك المُلك واعتلاقها..."**[1] شرع بالتّوجّه لطلب العون والمساعدة بأسلوب الترغيب لما للبلاد للأندلسية مكانتها في القلوب، وبما سيجلب الجهاد فيها وافر الأجر والثواب وإملاء صحائفهم بالحسنات. ثم يذكر غاية مخاطبته لهم، وهو أن ينظروا إلى حالهم وأن يبادروا بما عندهم من عتاد يعينهم على استكمال جهادهم ومواجهة عدّوهم **"فخاطبناكم بهذا الكتاب نشرح لكم أحوالها، ونطلب من نظركم لها من يمهد خلالها وييسر آمالها، وإن ظهر لكم أن تبادروا بشيء من المال...فلم تدّخر الأموال من هذا العالم... وهذه البلاد الأندلسية...هي عُدّة لأسلافكم الكرام إلى معادكم، و متجر حسناتكم وركاب جهادكم، وصحيفة أعمالكم الزّكية ومنصة آثاركم الملوكية...وأنتم صميم ذلك المجد الذي تعودت نصرته وإعانته، وعرفت من عوارفه مالا يطاق حصره...وعرضنا عليكم هذا القصد الذي مازال سلفكم يثابرون عليه، وبمزيته على يفتخرون، ومرضاة الله**

1- المصدر السّابق ، ص 363.

سبحانه يبتدرون وأنتم تعلمون في ذلك إن شاء الله ما يليق بمجدكم الأصيل و حسكم الأثيل، حملكم الله على ما يكون لكم فيه الذكر الحميد والقصد السديد..."[1]

سعى الكاتب في رسائل الاستنجاد إلى طرح المبررات التي استدعت طلب النّجدة، من خلال وصف حال المسلمين من تكالب الأعداء عليهم والتحريض للقضاء منهم. واستعمل التعابير الدّينية مع تضمين هذه الرسائل شيئا من الآيات القرآنية التي تحث على الجهاد وفضله، وما يذّخره الله تعالى للمجاهدين. وبهذا فقد جاءت الألفاظ منتقاة بعناية بحيث تستثير الحميّة والشفقة والعطف، وتخاطب الوجدان لتكون أكثر أثرا في نفوس المرسل إليه، فيبادروا لتدارك الوضع بالعزائم لائتمان الخائف وتعود المنطقة لأحسن أحوالها، وتستأنف الحياة فيها رمم آمالها وترفل في حلل اقتبالها.[2]

5- التَّعازي

هي الرّسائل التي يبعث بها السّلطان في حالات الحوادث والنَّائبات، المتعلّقة بالوفاة سواء أكان وفاة الآباء أم الأبناء، أو الأمهات أو الأقارب وما شاكلهم مواساةً لهم في مصابهم الجلل، وتخفيفا لفاجعتهم وتعظيمًا لأجرهم، وتضامنا معهم في نائبتهم. وهذه الرسائل تنوب عن الحضور الشخصي للسُّلطان للعزاء. أشهرها ما بعثه السّلطان **«أبو الحجاج يوسف الأوّل»** إلى نظيره المغربي **«أبي العنان»** يعزّيه في وفاة والدته فيقول: **"فإنّنا اتّصل بنا ما أشرق الأنفاس بصعدائها، من استثار الله عزّ وجلّ بتلك الجهة السّلطانية ذات البركات الطّاهرة والمكارم الهامرة، التي تبثّ في أوراق الآفاق أي مفاخرها المتلوّة وأوجب لها الملك حقوق الأبوة، أعلى الله درجتها في عليّين، وأسعدها بجوار كرام المختار من أمهات المؤمنين، فيا له من فاجع لم ينفع فيه إلا الاسترجاع، وخطب**

1- المصدر السّابق ، ص 364.
2- لمزيد من الأمثلة، ينظر: ريحانة الكتّاب، ج1، ص 372- 375-382.

تساوى فيه الجبان والشّجاع ...أهاب الملك بأعلى ذخائره المحسوبة وأسنى حسناته المكتوبة، وأعظم عدده المصّونة المحجوبة... فإنّنا إلى الله تسليما لحكمه وانقيادا لما سبق على من خلق في علمه، هي عادة الأيّام تعثر في مرحها، وتشرب كأس فرحها..."[1] ذكر الكاتب كيف استقبلوا خبر الوفاة وانتقال والدة السّلطان إلى رحمة ربّها بحزن وألم، لكنّه خطب لا ينفع فيه إلا التّسليم والاسترجاع، وداء الموت ينخر الشّجاع والجبان، القّوي والضعيف وكلّ من على الأرض فان. فذلك هو دين الأيام وديدنها مرّة في ترح ومرّة في فرح، فالدّنيا مبنية على المصائب والمحن، وأنّ العاقل من أعدّ نفسه لذلك، بصدر رحب وقلب صلب **" ولو أنّ هذا الخطب الذي طرق ذلك الجناب الأرفع...لو كان يقبل فيه الفدا أو يعمل بسببه النّدا، لكانت النّفوس من خلصان مقامه الرّفيع وأوليائه بعض فدائه والمبادرة تسبق أول ندائه، ولكنّه أمر تذعن له المراكب المختالة...وحكم لا يعترض فضله ولا يدفع نصله ، ومقامكم الأعلى يتلقّى أمر الله بالتّسليم والرِّضا ويرضى بحكمه جلَّ جلاله فيما قضى، و يعلم أنّ الدّنيا ليست بدار القرار وأنّ ما عند الله خير للأبرار والصّبر أعلى الذخائر.."**[2] ثم يهوِّن على السّلطان بتأبين مآثر والدته وأنّه ثبت عن رسول الله عليه الصّلاة والسّلام أنه قال إذا مات الانسان انقطع عمله إلا من ثلاث؛ ولد صالح يدعو له، صدقة جارية وعلم ينتفع به، ويخبره أنه اجتمع لها الثّلاثة وأكدَّ له بأنّ لو كان الأمر يُفتدى ويُرد لما توانوا عنه وحازوا أول السبق لذلك، لكنّه حسبه الله وأنه قضاؤه وقدره الذي لا ردَّ له، فما عليه إلا الصّبر والاحتساب والانقياد إلى الله والاقتداء بالرّسول الكريم. ثم يضيف قائلا: **"..وأنّنا لما اتّصل بنا الخبر، وجّهنا أليكم من ينوب عنّا في سنّة العزاء من المساهمة، ولولا حكم الضّرورة لم نقنع برخصة هذا الإجراء، لكنّ الأمور مثلكم يتأملّها والأعذار فضلكم يقبلها، والذي**

1- المصدر السّابق، ص 333.
2- المصدر نفسه ، ص 339- 340.

عينّا لذلك هو قريبنا الريس الأجّل الأود... ابن الريس الجليل الماجد الرفيع المجاهد الأشهر.. .المرحوم أبي الحسن بن نصر.." [1] بعد ذلك يخبر السّلطان بأنّه ما إن انتهى إليه خبر الوفاة، حتى بعث برسوله للقيام بواجب العزاء معتذرا عن عدم قدرته للحضور شخصيا، فأرسل أحد قرابته ومن ذويه إجلالا له وتقديرا لحالته.

أمّا إذا كان المتوفى هو السّلطان نفسه، فيتنازع الرّسالة الضدّان؛ الهناء والعزاء، عزاءً للسلطان المتوفى، وهناءً للسلطان الذي يعقبه. بعث السّلطان **«أبو الحجاج»** رسالة في هذا الغرض لسلطان المغرب يعزّيه في وفاة والده ويهنّئه في توليته الحكم من بعده، وصف فيها ما أحدثه خبر الوفاة من أثر موجع في النّفوس فيقول: **"...فإن ورد علينا الخبر الذي قبض و بسط، وجار وقسط...وأمرض وشفا، وأضحى وأظل، وتجهم و تهلل، وأمرَّ أحلى وأوحش وأسلى وأساء ثم أحسن، وبشرَّ بعدما أحزن، خبر وفاة والدكم محل والدنا السّلطان الكبير...فياله من سهم رمى أغراض القلوب فأثبتها، طرق مجتمعات الآمال فشتتها...حادث نبّه العيون من سِنة غرورها، وذكّر النّفوس بمهم أمورها، وأشرق المحاجر بماء دموعها، وأضرم الجوانح بنور ولوعها، وبيّن أنّ شراب الآمال سراب وكلُّ الذي فوق التراب تراب .....وداء الموت قديم وفرية لا يبقى عليه أديم..."**[2] ذكره بأنّ الموت شيء غير مستحدث بل قديم لا يغادر وضيعا ولا رفيعا، ثم يستعرض له من كانوا في كنف الدّنيا منعَّمين ويرفون في خيراتها بالشدّة والبطش والقوّة، فهدمت الموت دعائمهم وصاروا تحت أطواد ولم تنفعهم قوتهم ولا جاههم من قضاء الموت**"... وفرية لا يبقى عليه أديم، وكأسه يشربها موسر وعديم، دبَّت إلى كسرى الفرس عقاربه،...وقصر قيصر عن مشاربهن**

1- المصدر السّابق ، ص 340.
2- المصدر نفسه ، ص 332.

وابتزَّ سيف ابن ذي يزن من غمدانه....وكم في الإسلام من ملوك أولى فخر ما بين بني العباس وآل صخر، فأين مروان ودوآره وأبو الأملاك و بهاره، والوليد وأبناؤه وسليمان وآلاؤه، وعمر وثناؤه.... والجعدي وآراؤه، وابن السّفاح و أيامه، والأمين ونُدّامه، والمأمون وكلامه...لم تدافع عنهم الجنود المجنّدة، والصفاح المهنّدة ، والدّروع المحكمة، و لا الثياب المعلمة، ولا الجياد الجرد المسوَّمة، ولا الصفاح المثقَّفة المقومة..."[1] بعد ذلك يتّجه إلى الغرض الآخر وهو التّهنئة بتسلم سدنة الحكم والسلطة، والذي أزال وعوض عن ألم الفاجعة وقلبت الأحزان أفراحا **".. غير أن هذه الفاجعة التي فجع ومنع القلوب أن تقر والعيون أن تنجعن غمرته البشرى، وغلبته المسرّة الكبرى، وعوّضته من بقائكم الآية المحكمة الأخرى، فاضمحل من بعد الرسوخ، وصار دليله في حكم المنسوخ، بما كان استخلاصكم الملك الذي أنتم أهله، واختياركم المجد الذي أشرق بكم محلَّه...فأيُّ ترح يبقى بعد هذا الفرح، وأيُّ كسل ينشأ بعد هذا المرح. إن أفل البدر فقد تبلَّج الفجر، وإن غاض النيل، فقد فاض البحر .... وآن للدّنيا للدّنيا أن تلبس الحلا بعد الابتزاز..."**[2] ومن ثمّ يحمد الله له ويشكره على الإمنان عليهم باستلام الحكم للسّلطان الذي كان هناء للبلاد والعباد، والحجّ والجهاد. ويختم الرّسالة بإبداء عذره عن عدم مقدرته الحضور بشخصه، شارحا دواعيه وأسبابه من مداهمة العدوّ الذي يتربص بهم الدوائر، ولكنه أناب عنه شخصين لأداء هذه المهمّة فيقول: **"وبادرنا أيَّدكم الله من برّكم إلى غرضين، وشرعنا علم الله، ومن لدينا أن نباشر بنفسنا هذين القصدّين إلاّ أنّنا عاقنا عن ذلك ما عقده العدوُّ الذي بلينا بجواره، ومصابرة تيَّاره في هذا الشّهر من الميعاد الذي استدعي إليه الخلائق من كل فجّ عميق، واستقدم إلى يومه المشهود وجوه كلِّ فريق، حتى غصَّ بهم عرض كل طريق، ولا يؤمن أن يتّفق رأيهم على كيد**

1- المصدر السّابق، ص 333.
2- المصدر نفسه، ص 336.

يحذر داؤه، ويخشى اعتداده، وإلاّ فهذا الغرض قد كنّا لا نرى فيه بإجراء الاستنابة، ولا نحظى غيرنا بزيارة تلك المثابة...فعينًا للنّيابة عنّا في تقرير الحبِّ، والمساهمة الصّافية الشّرب فلانا وفلانا."[1] اتّضح من خلال الرّسالتين أنَّ الكاتب «لسان الدّين بن **الخطيب»** اعتمد في رسائل التعزية على المعاني الإسلامية التي يستوجبها ديننا الحنيف في هكذا حالات، من قضاء وتسليم وتقوية إيمان واحتساب للأجر. كما ركزَّ على ذكر مآثر المتوفّين الحسنة ومدى تألّمهم على فقده، وبالتّالي مشاركة المرسِل للمرسَل إليه بالمصاب مع العذر عن عدم الحضور للمشاركة في العزاء بسبب الانشغال بالجهاد ليكون ذلك أقبل للعذر، كما حاول التخفيف من المصاب بالتّأسي بالرّسول الأعظم والنّاس الذين سبقوا دلالة على أنّ الموت غاية كل حي وأنّه كأس يتجرّعه كل إنسان.[2]

6- الشفاعات

نتج هذا النوع من الرّسائل عن محاولة السّلاطين في إعانة ذوي الحاجات والتّوسط لهم لقضاء حاجاتهم، **"**فتصدر عن ذوي الرّتب والاخطار والمنازل والأقدار الذي يُتوسَّل بجاههم إلى نيل المطلوب ودرك الرغائب.**"**[3] ويكثر في هذا الغرض توصيف المشفوع له بكل الصّفات الحميدة التي تبرر له سبب الشفاعة، وأنّه من أهل استحقاقها، **"**والكاتب يحتاج إلى التلطُّف فيهما وإيداعهما من الخطاب ما يخرُج به الشّافعُ عن صورة المثقِّل على المشفوع إليه بما كلَّفه إيّاه، ويؤدِّي إلى بلوغ غرض المشفوع له ونجاح مطلبه.**"**[4] من أحسن ما يطابق هذا النّوع ما كتبه **«لسان الدّين»** عن السّلطان **«أبي الحجاج»** مخاطبا السّلطان المغربي في شأن والي مربلَّة لذلك العهد عندما انفصل عن ولايتها وتقاعد بأحواز

1- المصدر السّابق، ص 336- 337.
2- لمزيد من الأمثلة، ينظر: ريحانة الكتّاب، ج1، ص 326
3- أبو العباس احمد القلقشندي، صبح الأعشى، ج9، ص 124.
4- المصدر نفسه، ص 337.

جبل الفتح. **"المقام الذي له القدر الرّفيع والعزّ المنيع والمكارم الّتي حسن منها الصَّنيع. مقام محل أخينا الذي نعظّم جانبه ونتمِّم من الإجلال واجبه، ونشكر في سبيل الله مذاهبه....أما بعد حمد الله أهل الحمد والثّنا الذي نتعاون في ذاته، وابتغاء مرضاته على جهاد الأعداء، ونلتمس بذلك الفوز لديه يوم الجزاء، والصّلاة على سيّدنا ومولانا محمد رسوله سيّد الرّسل وخاتم الأنبياء....فإننا كتبناه إليكم... من حمراء غرناطة حرسها الله والاعتداد بكم في الله وثيق البناء...وإلى هذا وصل الله سعدكم وحرس مجدكم، فإنَّ مؤديه إلى مقامكم الكريم...خديمكم الشيخ الأجل المكّرم أبا زكريا البرقاجي الوالي بمربلّة وصل الله كرامته... وما ثبت عندنا من حسن انحائه ومشكور بلائه، وما بذله في هذه الأيام الفارطة بمربلّة وجهاتها من تسديد الأمور، وتمشية أحوال ما يرجع إليها من الثّغور...وأنّه لم يزل يباشرها بنفسه ويتفقَّدها، ويمشي واجباتها ويسدّدها ويحاول ما أمكن من مجابها...وأنّه لمّا عزم فيما سلف على اللِّحاق ببابكم والتّوجه إلى كريم جنابكم، أشرنا عليه بالمقام، لمّا علمنا من غنائه، وتحققنا من اكتفائه ولكون مربلّة حرسها الله، كان قد توفي قائدها رحمه الله، فرأينا أن إقامة الوالي المذكور فيها، لتسديد نواحيها، وقبض مالا يعرفه غيره من مجابيها، من الأسباب التي تعود بمرضاة أهلها ونكاية أعاديها... ولمّا وقع العزم الآن على إشخاصه إلى مقامكم الكريم واستقدامه، قررنا عندكم عذره في مقامه لتكونوا على علم من اجتهاده وجدِّه وما بذله حميد سعيه وحسن قصده...وبادرنا إلى تعريف مقامكم بذلك و إعلامه، لتكونوا على يقين، وسبيل مبين."**[1] أشار الكاتب أولا إلى المودّة والاحترام المتبادل بين المرسِل والمرسَل إليه، لينتقل بعدها إلى موضوع الشفاعة بكل إيجاز، ثم يختم الرّسالة بالدّعاء للمخاطب بأن يصل الله سعادتهم ويوالي رفعتهم. "إنّما ما يتطلَّبُه هذا الفنّ أن

1- لسان الدين بن الخطيب، ريحانة الكتّاب، ج1 ، ص 345-347، لمزيد من الأمثلة ينظر: ص 353.

يسلك الإيجاز والاختصار، وأن يسلك مسلك الرّقاع القصار المجملة، لا الكتب الطِّوال المفصلة، وأن يرجع فيما يودّعه قدر الشّافع والمشفوع فيه"[1]

مثّلت الرّسائل السّلطانية عند **«لسان الدّين ابن الخطيب»** خلال ذلك العهد حياة الأندلس السياسيّة برّمتها وبكل تفاصيلها، فقد كانت الوسيلة الإعلامية التي تعبّر بها الدّولة عمّا يجوب في سياستها الخارجية والدّاخلية. وتحاول بها تثبيت دعائمها من خلال بثّ الدّعاية لها وإظهارها بمظهرها القّوي، والتّمسك بمبادئ الدّين. لذلك امتزجت المسحة الدّينية بالمسحة الأدبيّة في هذه الأغراض التي طرقها **«ابن الخطيب»** عن مختلف سلاطينه. في التهنئة بمواطن النّصر وتكامل الظّفر والنّيل من العدوّ، فقد كان السّلاطين فيما بينهم محافظين على معاني الصّداقة وحسن الجوار فإذا ما أصاب أحد منهم خير بادروا إلى تهنئته؛ من خلاصه من نكبة، أو شفائه من مرض فيظهروا الفرحة لفرحه وانبساطه . وفي التعزية في حالات الوفاة والمصائب، يرسلون الكتب تعظيما لأجر المخاطب ومواساة له في مصابه الجلل. وفي الشّكر لما تستوجبه حالة وفود الهدّية، وإظهار السّماحة والانشراح بوصولها، وأنّها ممّا يعين على الجهاد ومكابدة جحافل الأعداء. والشّفاعة لمن انقطعت بهم السّبل وضاقت بهم الأحوال، فاستهدوا إلى أصحاب المكانة والوّجاهة لدرك الحاجات. وكذا الاستنجاد الذي يتّصل بوصف النّكبات عند مداهمة الخطر والاستصراخ بمسلمي الأقطار لأجل إغاثتهم بعتاد الحرب. وغرض الفتوحات الذي يظهر فيه المرسِل دلائل النّصر وما أنعمه الله عليهم لفتح الحصون والقلاع، ونشر دين الإسلام فيها وإيّالتها للأندلس، وقد تنوَّعت كل أساليب هذه الرّسائل وفقا لتنوع الغرض الذي حملته كل رسالة.

1- أبو العباس أحمد القلقشندي، صبح الأعشى، ج9، ص 125.

الفصل الثّاني

الفصل الثّاني

الفصل الثّاني: الخصائص الفنيّة للرّسائل السّلطانية في كتاب ريحانة الكتّاب ونجعة المنتاب

تمهيد

1- البناء الفنّي للرّسائل.

1.1. المقدّمة.

1.2. المضمون.

1.3. الخاتمة.

2- الصّور البيانية.

2.1 التّشبيه.

2.2 الاستعارة.

2.3 الكناية.

3- المحسّنات البديعية.

3.1. السّجع

3.2. الطّباق والمقابلة.

3.3. الجناس.

4- الاقتباس والتّضمين.

4.1. الاقتباس من القرآن الكريم.

4.2. الاقتباس من الحديث النّبوي الشّريف.

4.3. التّضمين من الشّعر.

تمهيد

يعدّ الجانب الفنّي للرّسائل بمثابة ثمرة الجهد التي أفنى فيها الكاتب قريحته وثقافته الأدبية، فهو حينما يكتبها وينمّقها بزخرف اللّفظ، ويجزل تعابيرها ويحسن صناعة أسلوبها، يكن قد أخرجها في أبهى حللها وأزهى صورها. ولذلك وظّف **«ابن الخطيب»** في رسائله مجموعة من قواعد البلاغة العربية، من بيان وبديع ومعان، إظهارا للقدرة الفنية، وكذا الاسهام في حسن الصّياغة وترتيب الاجزاء وبراعة التّركيب ودقة التّعبير.

1- البناء الفنّي للرّسائل

اتخّذت الرّسائل السّلطانية **«للسان الدّين بن الخطيب»**، حيّزا وإطارا واحدا تشكّلت فيه على اختلاف ألفاظها وأغراضها التي طُرقت لأجلها، بحيث اتّحدت في مطالعها وحسن تخلّصها وختامها، وشكّلت بهذا هيكلا فنيّا يجوب في فضائه أفانين من البلاغة والفصاحة.

1.1. المقدّمة

يُقصد بها الافتتاح أو المطلع، وهي أوّل ما يقرع أذن السّامع، لذلك ينبغي أنْ يكون عليها شيء من صحة السّبك، وسهولة اللّفظ، ووضوح المعنى. وأن يستهلّها كاتبها ببراعة فذّة، بأن يأتي "في صدر المكاتبة ما يدّل على عجزها، فإن كان الكاتب بفتح أتى في أوّله ما يدّل على التهنئة، أو بتعزية أتى في أوّله ما يدّل على التّعزية أو في غير ذلك من المعاني، أتى بما يدّل على ذلك"[1]. وعليه فإنّ من أهمّ وظائف المقدِّمة هي الإشارة إلى الغرض العام للرّسالة، ليُعلم من مبدئ الكاتب ما المراد منه. وقد برع **«لسان الدّين»** في هذا الصّدد أي في ربط مقدّماته بالغرض الأساسي للرّسائل، عن طريق إيراد نواه لمحتوى النّص في

1- أبو العباس أحمد القلقشندي، صبح الأعشى، ج6، ص 276.

المطلع. كما هو الحال في رسالته إلى ملك المغرب عن الأمير **«أبي الحجاج»** يعلمه بالفتح الذي خصّ حصن قنيط قائلا: **المقام الذي لأنباء النّصر اهتزازه، وفي سبيل الله عزمه وبأسه وسماحه، ولجهاد الله تحنُّ جياده وتميل رماحه"**[1] أشار في البدء إلى أنَّ الغرض من هذه الرّسالة هو الإعلام بالنَّصر المحقق الذي منّه الله عليهم. وفي رسالة الشّفاعة ابتدأ **«ابن الخطيب»** قائلا: **"المقام الذي يحسب الشّفاعة ويرعى الوسيلة وينجز العّدة، ويتّمم الفضيلة، ويعرف العوارف الجزيلة."**[2] فقد أشار إلى أنّ المخاطب من محبّي الشّفاعة ومحتسبيها، لذلك فهو يتوّسم منه ألاّ يردّ شفاعة مرسله، ومنه عرض لموضوع رسالته. وفي التّهاني بالشّفاء من المرض مثلا، قدّم للموضوع في بادئ المكتوب بقوله: **"المقام الذي شفاؤه للإسلام شفا، وبرؤه نعمة عميمة ما بموقعها خفا، وشيمة فضل وعدل ووفا."**[3] فالظّاهر من خلال كلمتي شفاؤه وبرؤه الموضوع المطروق. وفي التّعازي أيضا قوله: **"المقام الذي صبره في النّوائب جميل، وشكره على المواهب بالمزيد كفيل، وفضله لا يلتبس منه سبيل."**[4] فقرن لموضوع التّعزية كلمة النّوائب والصّبر ليعرف من منظور بعيد أنّها في هذا الغرض. وعلى هذا المنوال توالت افتتاحات رسائل **«ابن الخطيب»** الصّادرة عن السّلطنة آنذاك. فلكلّ موضوع مقدِّمة معينة ومن هنا تتّضح أهميتها ومهارة الكاتب في التّقديم لرسائله. كما درج **«ابن الخطيب»** في افتتاح رسائله بأن يجعل لكلِّ طبقة من رجال الدّولة نعتا معيّنا، على نحو المكتوب الموجّه للسّلطان نفسه يبدؤه بصفة المقام والشّاهد على هذا رسالة مبعوثة لسلطان المغرب **"المقام الذي عالج زمانه**

1- لسان الدّين بن الخطيب، ريحانة الكتّاب، ج1، ص 134.
2- المصدر نفسه، ص353.
3- المصدر نفسه، ص 318.
4- المصدر نفسه، ص 326.

الزمن فشفا"[1]وما دون ذلك كالخليفة مثلا يفتتح رسالته بلفظة "الخلافة" ومنه قوله: **" الخلافة التي لها المجد المؤثّل، والفضل الذي كرم الآخر منه والأوّل والمفاخر التي ظاهرها لا يُتأوّل، خلافة السّلطان كذا."**[2] وإلى ولاّة العهد يخاطبهم بكلمة **"مولاي" أو "مولانا" فيقول مثلا " مولاي ومولاي بسرّي ومولى المسلمين، ورحمتي التي فاقت رحمة الآباء للبنين، وعصمتي المتكلَّفة بالسّعد الرَّائق الجبين."**[3] أما في مخاطبة الوزراء فتبتدئ الرّسالة بكلمة "سيِّدي" ومنه ما بُعِثَ لوزير المغرب **"سيِّدي الذي أسرّ بسعادته، و ظهور عناية الله به في إبدائه وإعادته، وأعلم كرم مجادّته."**[4] فاللائق أن تفتح المكاتبة باللّقب المخصوص للمكتوب إليه وهذا ما عهدنا طيلة الرّسائل.

1.2. المضمون

وهو الغرض الأساسي الذي من أجله يُقصد العمل الأدبي، وعليه تبنى الرّسالة. وقد عرضنا آنفا أبرز المضامين التي دارت حولها الرّسائل السّلطانية من تعزية وشكر وتهنئة وفتوح. أمّا عن التخلّص من المقدّمة إليه، فيكون بإحدى الحسنيين، إمّا بأمّا بعد أو بلفظة فإنّا كتبنا لكم أو ما يصِّح عنها ككتبناه إليكم أو كتبناه، والملاحظ من الرّسائل لدى **«ابن الخطيب»** أنها جمعت بين الاثنين؛ الأولى استعملها للفصل بين المقدّمة والدّخول إلى المضمون، فيقول أما بعد ليَردَ بعدها الحمدلة "فالحمد مطلوب في أوائل الأمور طلبا للتّيمن والتّبرّك."[5] فحيثما وردت أما بعد اتّصلت بها الحمدلة، وتأتي بما يناسب الموضوع أيضا، فيسيق لغرض الفتح والنّصر عبارات الحمد بما يتماشى معها فيقول **"حمد الله الذي**

1- المصدر السّابق،ج1 ص 289.
2- المصدر نفسه، ج2، ص 30.
3- المصدر نفسه ، ج2، ص 36.
4- المصدرنفسه، ج2، ص 104.
5- أبو العباس أحمد القلقشندي، صبح الاعشى ج6، ص 224.

طوّقتنا مواهبه العميقة تطويقا، وأوضحت لنا هدايته من الشّكر طريقا، الذي جعل عزمكم للنّجاح رفيقا"[1] حمد الله على مواهبه السخيّة التي أحاطتهم وجعل لهم العزم المرفق للنّجاح والظّفر، والثّاني قوله فإنّا كتبنا إليكم تنقله هذه العبارة إلى خطبة الرّسالة بعد ايراد الحمد والصّلاة على الرّسول الكريم وتخصيص الدّعاء للمرسل إليه، فيقول: كما في رسالة **"«أبي الحجاج»"** من غرض الاستنجاد **"أمّا بعد حمد الله مجيب دعوة السّائل، و متّقبل الوسائل، ومنيل النّائل ومتبع النّعم الجلائل....والصّلاة على سيّدنا ومولانا محمّد رسوله، المنقذ من الغوائل، المنجي من الرّوع الهائل... والدّعاء لمقام أخوتكم في البكر والأصال...فإنّا كتبناه كتب الله لكم عزّا يانع الخمائل، ونصرا يتكفل للكتاتيب المدّونة في الجهاد ومرضاة ربِّ العباد..."**[2] وقد يأتي التخلص بردّ الجواب أي بذكر المرسل أنه يردّ جواب المرسل إليه بذكره لفظا يدّل على ذلك على نحو "وصلنا كتابكم" "ورد" "وصل" ومنه ما جاء على لسان أمير المسلمين **«أبي الحجاج»** لسلطان المغرب يردّ عليه جوابا بعد استلامه لهديته فيقول: **" وقد ورد علينا كتابكم الذي ظاهره هديّة وباطنه هداية، وطيُّه نصح، وعنوانه عناية..."**[3]

وصفوة القول أنّ مضمون الرّسائل السلطانيّة عند **«ابن الخطيب»** جاء على نمط معيّن وموحد إلى حدّ ما، فبعد المقدّمة يخلص إلى بداية الموضوع بكلمة أما بعد ليرد بعدها مجموعة من التحميدات بما يتماشى مع غرض الرّسالة، ومن ثَمّ يصلّي ويسلّم على الرّسول الأعظم، وبعدها يرد جملة من حمراء غرناطة إعلاما بموطن انطلاق الرّسالة، لينتقل فورا بكلمة فإنّا كتبناه إليكم إلى موضوع خطبة

1- لسان الدّين بن الخطيب، ريحانة الكتّاب، ج1، ص .245
2- المصدر نفسه، ص 376.
3- المصدر نفسه، ج2، ص9.

الرّسالة، فيعرض فيها ما شاء من القول مطلقا العنان لملكته الأدبية وتمكنّه اللّغوي.

1.3. الخاتمة

أمّا ختام الرّسالة فيأتي باختلاف غرضها مختصرا موجزا، مكتفيا بالدّعاء إلى المرسل إليه وإلقاء السّلام عليه. على نحو الرّسالة المنصوصة إلى صاحب تونس قائلا في ختامها: **"...وهو سبحانه يصل سعدكم ويحرس مجدكم، والسّلام الكريم الطيّب الزّكي المبارك البّر العميم يخصّكم كثيرا أثيرا، ما أطلع الصباح وجها منيرا، بعد أن أرسل النّسيم سفيرا، وكان الوميض الباسم لأكواس الغمام على أزهار الكمام مديرا، ورحمة الله وبركاته"[1] يدعو الكاتب للمخاطب بأن يصل الله سعدهم ويبقيهم في عينه** وعلى هذا السبيل اعتاد **«ابن الخطيب»** اختتام أغلب رسائله، فالدّعاء هو خير ختام ووداع لأنه من علامات المحبة والتودد. وقد يرد في آخر الرّسالة التّاريخ بأن يقول: يوم كذا وافق كذا. ومن ذلك رسالة في مخاطبة سلطان المغرب في آخرها جاء: **"و كتبت في اليوم الثالث من شهر الله المحّرم عام أحد و خمسين وسبعمائة."[2]**

نخلص إلى أنّ الرّسائل السّلطانية عند **«ابن الخطيب»** سارت رسومها الكتابية على جادة واحدة، تتألف من مقدمة يذكر فيها المرسِل والمرسَل إليه، ثم خطبة الرّسالة التي تتكون من الحمدلة والصّلاة على الرّسول الكريم، ومن ثّم الدّعاء للمخصوص بالرّسالة ثم يذكر موطن إصدار الرّسالة والغاية منها، وفي الختام يحلِّيها بالدّعاء وغالبا ما تتذيّل الرّسالة بالتّاريخ. على الرغم من هذا الإطار الذي يحيط بها إلاّ أنّ بداخلها مرتعا من الجماليات اللّغوية والفنّيات التعبيرية

1- المصدر السّابق، ج1، ص 339.
2- المصدر، نفسه، ج1، ص 145.

والأساليب أشكالا وأنواعا، جاد فيها **«ابن الخطيب»** بقريحته وعذوبة لغته فأظهرها بحلّة زاهية تنّم عن ملكته الأدبيّة والمعرفيّة.

2- الصّور البيانية

زخرت الرّسائل السلطانية في كتاب رّيحانة الكتاب **« لابن الخطيب»** بالصّور البيانيّة المختلفة، كون التّصوير الفنّي واحدا من المكونات الهامّة للعمل الأدبي، يتقدّم به الكاتب لتحليّة أدبه وتقويته، فيسرح بذهن القارئ إلى ما غاب عن متناول حسّه. كما أنَّ كم للصّور البيانيّة من وظيفة في إبراز المعاني في صورة قريبة من الواقع والإعانة على تذوقها والوقوف على أسرار جمالها. فيعمد الكاتب لهذا إلى استخدام الأساليب البلاغية البيانية من تشبيه واستعارة وكناية، لتجتمع معا في رسم لوحة خيالية يتجسّد عليها المعنى بجلاء وقوّة تأثير.

2.1. التّشبيه

التّشبيه باب من أبواب علم البيان، يتأسّس على اشتراك طرّفين في صفة واحدة يطغى أحدهما فيها على الآخر. فهو " بيان صورة تقوم على تمثيل شيء (حسيّة أو مجرّدة) أو أكثر"[1]بواسطة أداة ملفوظة أو ملحوظة. وله موقعا حسنا في البلاغة وذلك لإخراجه الخّفي إلى الجّلي، وإدنائه البعيد من القريب، يزيد المعاني رفقا ووضوحا، ويكسبها توكيدا وفضلا ويكسوها شرفا ونبلا. فهو فن واسع النّطاق، فسيح الخطوة، ممتد الحواشين متّشعب الأطراف، متّوعر المسلك، غامض المدرك، دقيق المجرى، غزير الجدوى".[2] يستند على أربعة أركان تسهم في بنائه وهو المشّبه، المّشبه به، أداة التّشبيه، ووجه الشّبه. من بين التّشبيهات

1- محمد أحمد قاسم، محي الدّين ديب، علوم البلاغة (البّديع والبّيان و النعاني)، المؤسسة الحديثة للكتّاب، طرابلس (لبنان)، ط1، 2003، ص 143.

2- أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة في المعاني و الّبيان والبديع، المكتبة العصرية، صيدا (لبنان)، د.ط، د.س، ص 219.

التي أسهمت في تشكيل الصّورة الفنّية في الرّسائل السلطانيّة قول **«ابن الخطيب»: "والرّضا عن آله وأصحابه...الذين جاهدوا في الله حقّ جهاد، يخوضون لأن تكون كلمة الله هي العليا، ويقدمون بالجموع القليلة على الآلاف المتكاثرة، قرت بالإسلام العيون النّاظرة، فكانوا في الذّب عن أمته كالأسود الخادرة."**[1] شبّه الكاتب دفاع آل وأصحاب الرّسول عن دين الله والتزامهم به والسعي وراء إعلائه ونصرته بالأسود اللاّزمة لخدرها وعرينها في دلالة على المنع والتّمسك والثّبات على الحق، فذكر المشبّه والمشبّه به والأداة ووجه الشبّه على سبيل التّشبيه التّام الذي يستوفي جميع أركانه. وورد أيضا التّشبيه في قوله: **"وأشقر عسجديَّ اللّباس...كأن أذنه ورقة الآس... وكميت ما في خلقه من أمت كأنه قطعة من الغسق خالطت دهمتها حمرة الشفق."** شبّه الكاتب لون الحصان بالعسجد وهو الذّهب والجّوهر كلّه، وشبّه أذنه بالوردة البيضاء الصغيرة (الآس) ممّا أضفت على المعنى وضوحا وتقريبا للمواصفات إلى ذهن القارئ حتى يتمكن من تحضير صورة جليّة حقيقيّة عن الأمر الموصوف. وشبّه الحصان الثاني الذي سمّاه بالكميت وهو ما كان لونه بين الأسود والأحمر لذلك عقد مماثلة بينه وبين قطعة الغسق التي تخالط دهمتها بمعنى سوادها حمرة الشّفق. وبهذا قد جسّد المعنى في قالب يسهل على القارئ استحضار صورته. ومن ذلك قوله: في رسالة من السّلطان **"«الغني بالله»"** إلى سلطان تونس في التّهنئة **"كتب الله لكم...توفيقا يلازم أعمالكم السّديدة وأراءكم الحميدة، لزوم أطواق الحمائم."**[2] شبّه الكاتب التوفيق لأعمال المخاطب وآرائه بملازمة الأطواق لأعناق الحمائم، مخفيا الأداة ووجه الشّبه وهو قوة الملازمة والارتباط وهذا ما يسمى بالتشبيه البليغ. تقوم هذه الصّورة على الملازمة والدّوام فلا يمكن فصل طوق الحمامة

1- لسان الدّين بن الخطيب، ريحانة الكتّاب، ج1، ص 208.
2- المصدرنفسه ، ج2، ص35.

الذي هو جزء من ريش عنق الطّائر عنها، فالطّوق ملازم له في حلّه وترحاله، وهذا ما أراده الكاتب في هذه الصّورة، وهو جعل التّوفيق والسّداد يلازمان صاحبه المخاطب في حلّه وترحاله، موظّفا لذلك ألفاظ (أطواق الحمائم) بما تحمل من يمن ووداعة وترتبط بمعنى التوفيق والدّعاء له. ومن الصور الفنّية للتشبيه البليغ أيضا قول **«ابن الخطيب»** فيما كتب لصاحب تونس عن السّلطان **«أبي الحجاج»: "وتشبَّثَت الأسِنَّة في الدّروع تشبّث الأسماك في الشّباك."**[1] شبّه الكاتب عملية تشبّث الرّماح بدروع الأعداء، بعملية تشبّث الأسماك بشباك الصّيادين. في دلالة على تمكّن المقاتلين المسلمين من الأعداء كما يتمكّن الصياد من الأسماك حال صيدها. وورد أيضا في رسالة الخليفة **«المستنصر بالله»** تشبيها مؤكدا لحذفه أداة الشبّه وتصريحه بوجه الشبّه، قوله: **"مقامه مقام إبراهيم رزقا وأمنا."**[2] شبّه الكاتب مقام المخاطب بمقام النّبي إبراهيم ذاكرا وجه الشّبه المتمثّل في الرّزق والأمن ليكسب المعنى توضيحا وتأكيدا . ويرد التّشبيه أيضا في قوله: **"سلام كريم كما حملت نسائم الأسحار أحاديث الأزهار، ورّوت ثغور الأقاحي والبهار، عن مسلسلات الأنهار، وتجلى على منصّة الاشتهار وجه عروس النّهار"** إذ شبّه الكاتب سلامه بعمليات عدّة في؛ حمل نسمات الأسحار لأحاديث الأزهار، وعملية روي أزهار الأقاحي والبهار عن مسلسلات الأنهار، وعملية تجّلي النّهار على منصّة الاشتهار، وهذه عدّة أوجه للشبه تترابط فيما بينها لتكون وجه الشبه الكلّي الذي أراده الكاتب. كلّ هذه التّشبيهات زادت في رسائل **«ابن الخطيب»** عن سلاطينه، قوّة في التّعبير، ووضوحا للمعنى، وترسيخا للصّور في ذهن القارئ. وبهذا فقد جاد بروعة بلاغته وأسلوبه أن يصل بهدفه إلى عقل وقلب القارئ من عمق إبداعي أدبي خالص.

1- المصدر السّباق، ج1، ص.99 .
2- المصدر نفسه، ج1، ص 180.

2.2. الاستعارة

يقال أنّه كلّما خفي المعنى كان أبلغ وأبين، لذلك فقد اعتبرت الاستعارة أبلغ في التعبير والجمالية من التّشبيه. لأنّها عبارة عن تشبيه حذف أحد طرفيه، ليترك القارئ يتشغف إلى المعنى المبتغى فتحدث أثرا في نفوس سامعيها لما فيها من جمال وروعة خيال، تحيلك إلى تخيل صور فنّية تنسيك متّضمن الكلام الحقيقي. وعليه فجامع تعريفها هو أنّها تشبيه حذف منه المشبّه أو المشبّه به، ولا بدّ أن تكون العلاقة بينها المشابهة دائما، كما لا بدّ من وجود قرينة دالة لفظة أو حالية مانعة من إيراد المعنى الأصلي.[1] وممّا لا شكّ فيه أنّ رسائل **«ابن الخطيب»** مترعة بالاستعارات نجد ذلك في قوله: **"تمسّك بذيل اللّيل عرفه وذيله"**[2] شبّه الكاتب اللّيل بالحيوان ذي الذيل، فحذف المشبّه به وأبقى على لازمة من لوازمه على سبيل الاستعارة المكنية. وفي قوله في عبارة **"وخجل الورد من تبسّم النّهار"**[3] شخصّ الكاتب كلمة الورد والنّهار وأضفى عليها صفات إنسانية المتمثّلة في الخجل والتّبسّم، فقد شبّههما بالإنسان وحذفه وأبقى على ما يدل عليه وهي أفعاله سبيلا للاستعارة المكنية. وقوله أيضا: **"طرق مجتمعات الآمال"**[4] فقد جسد الآمال وجعلها شِبها للإنسان في تكوين مجتمعات وعلاقات، فحذف المشبّه به وأبقى على لازمة من لوازمه على سبيل الاستعارة المكنية. ونظير ذلك قوله: **"به العيون من نسبة غرورها."**[5] فقد نسب صفة الغرور للعيون وهي صفة إنسانية، فشبّهها بالإنسان وترك على ما يقودنا إليه ابتغاء للاستعارة المكنية. ومن هذا التّوظيف قول **«ابن الخطيب»** عن السّلطان **«أبي الحجاج»: "فأورينا في**

1- محمّد أحمد قاسم، محي الدّين ديب، علوم البلاغة، ص 193.
2- لسان الدّين بن الخطيب، ريحانة الكتّاب، ج1، ص 186.
3- المصدر نفسه ، ص 298.
4- المصدر نفسه ، ص 322.
5- المصدر نفسه، ص 322.

الشّكر زندا"[1] بمعنى قد اتقدّ الشّكر ولزم علينا، فالشّكر هنا كلمة معنوية أضفى عليه الصّفة الحسيّة وشبّهه بشيء يشتعل والقرينة التي دلتنا لذلك هي الكلمة أورينا على سبيل الاستعارة المكنية. ومنها قوله: **"وكوكب يطلعه من القتام ليله فيحسده فرقد الأفق وسهيله"**[2] شبّه الكاتب الفرقد وهو النّجم المضاء بالإنسان، فأكسبه صفة الحسد التي تخصّ الآدميين ومنه حذف المشبّه به، وأبقى على لازمة من لوازمه لتمثيل الاستعارة المكنية. وأورد استعارة تصريحية في قوله **"وتجلّى على منصّة الاشتهار وجه عروس النّهار"**[3] فالشّاهد هنا عبارة وجه عروس النّهار، شبّه الكاتب الشّمس بالعروس في اقتبالها، فصرّح بالمشبه به وحذف المشبّه وأبقى على لازمة من لوازمه (النّهار)على سبيل الاستعارة التصريحية.

لعبت الاستعارة دورا بارزا في الرّسائل السّلطانية في تعليّة المعنى وتقويته في الأداء والرّصانة والجزالة، من خلال إكسابه دقةً في التّوصيف والتجسيد من عن طريق تقديم المعنوي في قالب محسوس. فأثرت من الجمالية الفنية وغرزت فيها رونقا مبدعا.

2.3. الكناية

تُعرّف الكناية على أنّها لفظ لا يراد به المعنى الحقيقي وإنّما معنى ملازما للمعنى الحقيقي، بحيث يريد المتّكلم إثبات معنى من المعاني فلا يذكره باللّفظ الموضوع له في اللغة ولكن يجيء بمعنى هو تاليه، وردفه في الوجود فيومئ به ويجعله دليلا عليه[4]. تتميز بأنها تقدم دلالتين في صياغتين هما الحرفي والمجاز وعلى المتّلقي أن يفكّ الصّورة ويخترق أعماقها لفهمها وتصوّرها. وبعد استقراء

1- المصدر السّابق، ص 260.
2- المصدر نفسه، ص 185.
3 -المصدر نفسه، ج1، ص 362.
4- محمود شاكر القطّان، الكناية مفهومها و قيمتها البلاغية، دار العلوم، القاهرة (مصر)، دط، 1994، ص 162.

النّصوص الرّسائل السّلطانية تبيّن الاهتمام الكبير الذي أولاه **«ابن الخطيب»** في توظيف هذا الفن البّياني ممّا أضفاه من جمالية فنيّة متمثّلة في التّشويق لسبر أعماق المعاني. منها ما جاء في رسالة بُعثت بغرض الفتح لصاحب المغرب يعرفه بغزو مدينة قرطبة فقال **"وهو أنّنا قدمنا إعلامكم بما نويناه من غزو مدينة قرطبة....أمّ البلاد الكافرة."**[1] فالشّاهد على الكناية هي عبارة أمّ البلاد الكافرة كناية عن مدينة قرطبة قبل الفتح لما كانت بأيدي الإسبان. وقوله **"والصّلاة على سيّدنا ومولانا محمّد رسوله....سراج الهداية ونبراسها"**[2] فعبارة سراج الهداية ونبراسها كناية عن الرّسول ﷺ فهو الذي بعث بدين الحقّ والصّراط السّوي، الذي يهدي إلى النّور وينقذ من مغارق الظّلمات. ومنها أيضا ما نصّه في رسالته: **"ففتحها الله عنوة وجعل سبيها للاسترقاق ومقاتلتها للبيض الرّقاق"**[3] فالبيض الرقاق كناية عن الأعداء الأوروبيين الذين يتميزون ببياض البشرة وبنية جسدية رقيقة. وأيضا في **"فيسرّ الله فتحها وعجّل منحها بعد حرب انبتّت فيها النّحور وتزيّنت الحور"**[4] فتركيب تزيّنت الحور كناية عن الشّهادة المحقّقة للثّواب والجزاء الحسن، فالحور تزيّنت للشّهداء في الجنّة وهذا فيه قدر كبير من التّحفيز للجهاد بأن مقاتلة الأعداء له من الأجر الغفير. وجاء أيضا من الكناية قوله :**"وقد رفعت عليها تيجان الصّفاح البيض"**[5] كناية عن السّيوف المشّعة بالبياض إذا ما سطعت عليها الشّمس، فهي مادية مشحوذة حتى أصبحت رقيقة كالصّفيحة، إذا ما وقعت عليها دوائر الشّمس ابيضّ لونها. فقد كان لهذه الكناية أثر في توصيف الحدث وبيانه فهذه الدّلالة تحيلنا إلى شدّة بطش

1- لسان الدّين بن الخطيب، ريحانة الكتّاب، ج2، ص 17.
2- المصدر نفسه، ج1،ص 187.
3- المصدر نفسه، ج1، ص 211.
4- المصدر نفسه، ص 191.
5- المصدر نفسه، ص 405.

المسلمين في وجه الأعداء عدّة وعددا في سبيل الدّفاع عن الوطن والجهاد في سبيل الله. وأردف منها قائلا: **"السّيوف مورّدة الخدود"** تحمل هذه العبارة كناية عن الدّم الغزير الذي خضّب السّيوف من جراء شدّة المواجهة حتى عاد كالخدّ المورّد لونه. تتمثّل بلاغة الكناية في تصوير المعاني بشكل دقيق وتقديمها في هيئة حسية ترتاح لها النفس ويعذب لها الخاطر. ومن هذا الباب نستنتج كم **«لابن الخطيب»** من براعة بلاغية خولته للتنويع في اساليب البيان وابتعاده عن غريب الالفاظ ووحشيتها التي تنقص من روعة الادب وتفسد طابعه الابداعي.

3- المحسنات البديعية

تعدّ الدّراسة الموسيقيّة ركنا مهمّا في النّثر الأدبي، لأنها مرتبطة بالألفاظ التي تتناغم فيما بينها مشكلة جرسا موسيقيّا وإيقاعا خاصا، مترعا بالعواطف الجيّاشة تطرب لها الأذان عند سماعها. لذلك كان يهرع الكتّاب إلى تزيّين كتاباتهم بزخارف لفظية متنوعة ولا شكّ أن هذه الرّسائل لم تخل منها.

3.1.السّجع

يعتبر السّجع أحد الجوانب المهمّة في التّصنيع وزخرفة الألفاظ، يرتكز أساسا على التّشابه والتّماثل في نهايات الفواصل في النّثر فهو" توافق الفاصلتين من النثر على حرف واحد."[1] اعتمده **«ابن الخطيب»** بكثرة فقد كانت رسائله حافلة بالأسجاع. نأتي منها ما جاء في قوله **"وجياح التّقية دامس، وعوراته لا تردّ يد لامس وساكنها يابس، والأعصم في شعباتها من العصمة أيس"**[2] فكلّ من كلمة دامس، لامس، يابس، آيس، جاءت على وزن واحد وحرف واحد ألا وهو السّين الذي يتميّز بالهمس والرّخاوة ممّا يضفي على السّامع هدوءا وإنصاتا. وكذلك قوله للسّلطان المغربي **«أبو سالم»** يهنيه في شفائه **"المقام الذي عالج**

1 - عبد العزيز عتيق، علم البديع، دار النّهضة الأدبيّة، بروت (لبنان)، دط، دس، ص 106.
2 - لسان الدّين بن الخطيب، ريحانة الكتّاب، ج1، ص 190 .

زمانه فشفا، وضمن له غريم القدر بلوغ الوطر فوفا، وانسدّل بإيّالته على الأمة لباس الوقاية والعصمة فضفا، واستظهر للدّهر بمعقوده طالبا إرث آبائه وجدوده فكتب عليه استقلّ بالواجب فاكتفا."[1] جاءت الكلمات الفواصل شفا، وفا، ضفا، واكتفا تتصاعد على وتيرة واحدة وحرف متماثل هو الفاء، مدعوما بحرف المد الألف فجعلت حالة التهنئة والمدح تطول وتستمر، وتتّسع فانتشرت موسيقاه على رقعة واحدة تحمل حالة من المرح في أكبر مساحة مكانية وزمانية متاحة .

وممّا وظّفه قوله أيضا **"المقام الذي جلى السّعد بدره فسمت إليه العيون ومطّل الدّهر نذره فقضيت بعده الدّيون ورأته النّفوس مظنّة الجبر والخير ويمن النّقيبة والطّير فصدّقته والحمد لله الظّنون وأمل الإسلام أن يخلف سلفه في سبيل الله بأكرم ما خلف الآباء به البنون واعتاض الملك بانتّصاره وحسن آثاره الغرُّ الأقعص من الهون وصلاح الشّان من نقع الشّؤون فله في ابتياسه الطّير الميمون والأجر غير الممنون."**[2] فكلمة العيون، الدّيون، الظّنون، البنون، الهون، الشّؤون الميمون والمنون شكّلت جرسا موسيقيا بتوافقها في حرف الواو والنّون الأخيران، ممّا كرّس من حالته الدّالة على الإعجاب والإطراء. ومنه أيضا قوله: **"فقد اشتهر من جميل سيركم ما طبق الآفاق وصحب الرّفاق واستلزم الإصفاق"**[3]. نهاية هذه الكلمات بحرف القاف خلق وقعا متناغما على أذن السّامع لما يتمتّع به هذا الحرف من صفات القوّة كالجهر والإطباق والإستعلاء. وأورد أيضا السّجع في عبارة **"ولا زائد بفضل الله إلا التّشوّق إلى التّعارف تلكم الأبواب الشّريفة التي أنتم عنوان كتابها المرقوم، وبيت قصيدها المنظوم ، والتماس بركاتها الثّابتة الرّسوم، وتقرير المثول في سبيل زيارتها بالأرواح عند تعذرها**

1 -المصدر السّابق، ص 289.
2- المصدر نفسه، ج2، ص33.
3- المصدر نفسه، ج1، ص509.

بالجسوم."[1] فالمرقوم، المنظوم، الرّسوم والجسوم كلها تنتهي بحرف الميم الذي يعطي رقة ونغمة في أذن السّامع ممّا يتماشى مع ما تستوجبه حالة الكاتب. وبهذا يمكننا القول بأن السّجع هو خلية فطرية موسيقية ينبع من صميم السّجية الصافية، مترجما عمّا ينساب من المشاعر والوجدان. وبهذه التناغيم الموسيقية أصبح قريب الشبه بالشعر الذي تعتمد موسيقاه على الأوزان والقوافي. أظهر **«ابن الخطيب»** عدم تكلّفه وتصنّعه في ترّاص هذه الأسجاع، وإنما تدّفقت معه بالفطرة التي تنمّ عن تمكّنه اللّغوي وتلاعبه بالأنغام محدثا رتما موسيقيّا تطرب له الأذن

3.2. الطّباق والمقابلة

أ- الطباق

يعدّ من المحسنات التي يزيّن بها الكاتب رقائعه فيأتي بكلمتين متضادّتين في الجملة، بغية تجلية وتوضيح المعنى فحاصل تعريفه أنه: "الجمع في العبارة الواحدة بين معنيين متّقابلين على سبيل الحقيقة أو المجاز ولو إبهاما، ولا يشترط كون اللّفظين الدّالين عليهما من نوع واحد كاسمين أو فعلين، فالشرط التّقابل في المعنيين فقط."[2]وقع الطّباق في رسائل كثيرة لدى **«ابن الخطيب»** منها ما جاء في رسالة للسّلطان المريني **«أبي عنان» "وقابلنا أغراضه سرّا وجهارا....ولم تختزل من حلوّه ولا مرّه."**[3] فقط طابق بين سرّا وجهارا مطابقة الاسم للاسم طباقا ايجابيا. ومن ذلك في غرض الفتوحات لصاحب مكّة قوله: **"والبركات الباطنة والظاهرة"**[4] فالباطنة والظاهرة كلمتين متطابقتين اسما لاسم. ومن ذلك ما ورد في مخاطبة **«أبي العنان»** أيضا لغرض النّصر والفتوحات **"وتعرف**

1- المصدر السّابق، ص508 .
2- عبد الرّحمان حسن حنبكة، البلاغة العربيّة أسسها، وعلومها، وفنونها، دار القلم، دمشق (سوريا)، ج2، ط1، 1996م، ص377.
3- لسان الدّين بن الخطيب، ريحانة الكتّاب، ج2، ص 10.
4- المصدر نفسه، ج1،ص 199.

ضروب الإعانة والتّيسير حال المقام الميّسر مثنى ووحدانا ....وصمّم لوجهه أنفة من حلّ العزم المعقود وثقة باشتمال المكروه على المودود....وأخذ أمر الله عن يمينه وشماله[1]." فكلّ من مثنى ووحدانا، المكروه والمودود، يمينه وشماله جاءت مطابقتها اسما على اسم . ومنه ما ورد في رسالة **«أبي الحجاج»** إلى سلطان المغرب أيضا بغرض الهناء والعزاء **"مقام محل أخينا الذي نساهمه في ما ساء وسرّ ونقاسمه في ما أحلى وأمرّ...لا نستطيع تأخيرا ولا تقديما...فياله من فاجع لم ينفع فيه إلا الاسترجاع وخطب تساوى عند الجبان والشّجاع."**[2] فإنّنا نستخلص من هذا النّص عددا من الطّباقات التي وردت فيه سواء أكانت مطابقة الاسم للاسم كالأحلى والأمرّ، تأخيرا وتقديما والجبان والشّجاع. أو مطابقة الفعل للفعل كأساء وأمرّ. يكثر الطّباق في هذا النّوع من الأغراض وذلك لطبيعته التي تتطلّب هذا النّوع من الألفاظ. والطباق في قوله أيضا: **"المقام الذي شأو مجده فسيح المدى، وتتراكض فيه جياد الباس والنّدى، وأخبار فخره تروي صفائحها كل من راح وغدا... وعرّفكم عوارف العناية الإلهية في مختتم كلّ أمر وابتدائه."**[3] فقد طابق بين راح وغدا مطابقة الفعل للفعل وبين مختتم وابتداء مطابقة الاسم للاسم. وعليه فقد رصد الطباق أثرا بلاغيا مهمّا متمثلا في إغناء المعنى وإثرائه والإبانة عنه .

ب- المقابلة

نعني بها وضع المعاني قصد الموافقة بينها وبين غيرها أو المخالفة فتأتي في الموافق بما وافق وفي المخالف بما خالف.[4] وهي أعمّ من الطّباق بحيث يجمع

1- المصدر السّابق ، ج1،ص 134.
2- المصدر نفسه، ج1،ص337.338.
3- المصدر نفسه، ص 226.
4- حسن التّوسّل إلى صناعة التّرسّل، شهاب الدّين محمود الحلبي، تح: أكرم عثمان يوسف، دار الرّشيد للنّشر، بغداد (العراق)، دط، 1980ص48.

فيها المولف بين المعاني المتّضادة .تطالعنا رسائل **«ابن الخطيب»** على كثير من المقابلات التي وردت فيها على سبيل ما جاء في رسالة عن **«أبي الحجاج»** **"وتوجّ من فضل الله الاغتنام وعبس الجوّ العبّاس وضحك النّصل البسّام"**[1] فقد قابل بين جملة عبوس الجوّ وضحكة النّصل. ومنها قوله **"مؤيد العزائم المتّصارخة في سبيله المتّناصرة ومعزّ الطّائفة المؤمنة ومذّل الطّائفة الكافرة."**[2] فالمقابلة وقعت بين جملة معزّ الطّائفة المؤمنة ومذّل الطّائفة الكافرة. إذ تقاطعت كل من كلمة معزّ مع مذّل و كلمة المؤمنة مع الكافرة. ومنها أيضا ما جاء لرسالة وجهت لسلطان المغرب في غرض الفتح: **"...وتلقّى أحكامه بالقلب السليم...طيّبة العرف راقية الأديم ومبطّل الباطل"**[3] تقابلت جملة محقّ الحق مع مبطل البّاطل وهما مختلفتين فيما يحملانه من معنى . وكذلك ما جاء في غرض العزاء والهناء، استوجب هذا الغرض حضور المقابلة لما فيه من استحضار حالتين حالة للعزاء وحالة للهناء، حالة الحزن والسّعد فورد: **"إن أفل البدر فقد تبلّج الفجر، وإن غاض النّيل فقد فاض البحر"**[4] جاءت جملة أفل البدر في مقابلة تبلّج الفجر وأيضا جملة غاض النيل في مقابلة فاض البحر ويعني بهذا إن مات سلطان أعقبه سلطان آخر. وبعد هذه الالتفاتة حول المقابلة في الرّسائل السّلطانية **«ابن الخطيب»** تبيّن لنا الاثر الواضح لفن المقابلة في تصوير المعاني التي حرص على إيصالها لمتّلقيها، حيّة نابضة بالحركة لتكون من الرّكائز المهمّة التي تساهم في بناء أسلوب الرّسائل السّلطانية.

شكّل الطباق والمقابلة أثرا بليغا في الرّسائل السّلطانية في عصر –بني الأحمر- ويرجع ذلك للحياة المضطّربة التي كان الأندلسيون يعيشنها آنذاك.

1- لسان الدّين بن الخطيب، ريحانة الكتاب، ج2 ص15.
2- المصدر نفسه، ج1،ص 445.
3- المصدر نفسه، ص 235.
4- المصدر نفسه، ص 334..

فالكتّاب بين الخوف والقلق والحاجة إلى مساعدة الأخوان، واقتراب الخطر الأسباني، وخيانة بعض المقربين والانتقال المتّكرر بين المدن بسبب سقوط بعضها بيد الإسبان[1] فجميع هذه الاضطرابات جعلت نصوصهم بارزة الثّنائيات الضدّية المضطّربة فتجاذب النّفس بين ضدّين واضح لديهم، ما ألقى بظلاله على كتاباتهم، إذ أن اللّغة بإمكانياتها الصوتية والدّلالية قادرة على تجسيد المشاعر والأفكار في صورة ملموسة ذات خصوصية. وهذه الخصوصية هي طريقة الكاتب في تجسيد الأشياء[2]

3.3.الجناس

الجناس محسن بديعي معنوي، يقصد به اتّفاق اللفظتين كتابة واختلافهما معنى، إذ ينبغي أن ترسل المعاني على سجيتها لتكتسي من الألفاظ ما يزيّنها حتّى لا يكون التّكلف في الجناس مع مراعاة الالتئام.[3] وهو على نوعين الجناس التّام وهو ما اتّفق فيه اللّفظان في أربعة أشياء نوع الحروف عددها وهيأتها وترتيبها مع اختلاف المعنى، والثّاني جناس ناقص وهو ما اختلف فيه اللّفظان في عدد الحروف وفي الكتابة. وهذا النّوع الأخير أكثر انتشارا من الجناس التّام في النّصوص النّثرية عامة وفي هذا الذي بحوزتنا خاصة. رصدت من الجناس التّام ما جاء في رسالة **«الغني بالله»** إلى صاحب تونس **"فإنا كتبناه إليكم كتب الله لكم من كتائب نصره أمدادا، تذعن أعناق الأنام بطاعة ملككم منصور الأعلام عند إحساسها وآتاكم من آيات العنايات آية تقترب الصّخرة الصّماء ممن عصاها بعصاها."**[4] فقد جانس بين عصاه الأولى من العصيان والتّمرد وبين عصاه الثانية

1- عنان خلف سرهيد، أثر الشّعر في توثيق الأحداث التّاريخية في سلطنة غرناطة، رسالة ماجستير، معهد التأريخ العربي والتّراث العلمي للدّراسات العليا، بغداد (العراق)، 2005 ص 83

2- محمد عبد المطلب، البلاغة و الأسلوبية، الهيئة المصرية العامة للكتّاب، القاهرة (مصر)، ط1، ص1998، ص 273.

3- جواهر البلاغة، أحمد الهاشمي، ص 325.

4- لسان الدّين بن الخطيب، ريحانة الكتّاب، ج1، ص152.

التي تعني العصا الحقيقية. أمّا الضّرب الآخر منه فهو الجناس النّاقص وحظّ تواجده كثير في هذه الرّسائل، منه ما ألفيت في رسالة لصاحب تونس **"وأهدوا بوقيعتهم إلى الإسلام ثكل الواجد، وثرّة الماجد، فكبسناها كبسا وفاجأناها بالهام ما لا يضلّ ولا ينسى، فصحبتها الخيل ثم تلاحق الرّجل ثم جنّ السّيل، وحاق بها الويل فأبيح منها الذمار وأخذها الدّمار....ولم يكن إلا نقلت الأنفال ووسمت ورسمت بالإيضاح الأغفال وتميزت الهوادي والأكفال...ونادينا الجهاد الجهاد يا أمّة النّبي الهاد، الجنّة الجنّة تحت ظلال السّيوف الحداد، فهزّ النّداء إلى الله كلّ عامر وغامر ....وأتى النّاس من الفجوج العميقة رجالا وعلى كلّ ضامر وكثرت الرّياض أزهارا البطاح لونا وعدّا وسدّت الحشود مسالك الطرق العريضة سدّا ومدّ بحرها الزّاخر مدّا فلا يجد لها النّاظر ولا المناظر حدّا"**[1]. من هذا النّص نستخلص جملة من الجناسات فكلمة الواجد والماجد جناس ناقص وذلك نتيجة اختلافهما في حرف واحد الأولى بالواو والثانية بالميم. وأيضا كلمة الخيل والسّيل والويل اختلفت في أول حروفها ، وفي الذمار والدمار اختلاف في أوائل الحروف؛ فالأولى بحرف الذّال الأعجمي وتعني ما ينبغي حياطّته والذود عنه أما الثّانية بالدّال المهملة فتعني الفساد. وكلمتي وسمت ورسمت اختلفتا في الحرفين الواو والراء، لتعطي كل منهما دلالة مختلفة ما يتناسب مع رسم كتابتها فالوسم هو إحداث علامة والرّسم هو الكتّابة. وكذلك بين الأغفال والأكفال جناس ناقص نتيجة الاختلاف بين الحرفين الغين والكاف والدّلالة المتّغيرة من حيث المعنى. وأعطت الكلمات عامر وغامر وضامر جناسا ناقصا لاختلاف أوائل حروفها. ونظيرتها الكلمات؛ الناظر والمناظر جناس اشتقاقي، لخروج كلمة المناظر من كلمة النّاظر. وأيضا؛ عدّا وسدّا ومدّا وحدّا حققت مجانسة ناقصة لاختلاف أوائل

1- المصدر السّابق، ص 192-193.

حروفها فنتج عن ذلك افتراقا دلاليا منغما. أحدث الجناس سمة فنيّة متمثّلة في تناغم الألفاظ مع بعضها، وتجددها على مجال الإيقاع والدّلالة، ممّا يعطي ميلا للإصغاء وطرح البال والإطراب. وهو فنّ لا يدركه إلا من امتلك ناصية اللّغة وجرى مع موسيقى الحروف وصفاتها من دون تصنّع ولا تكلّف وهذا ما لمسناه عند **«ابن الخطيب»** بقوّة ملكته اللّغوية استطاع أن يعطي للجملة انسجاما باهرا، ووفرّ جوّا موسيقيا ترتاح له الاذن.

4- الاقتباس والتّضمين

تعتبر ذاكرة الأديبّ المبدع بحر في أعماقه درّر من الأقوال والأفعال، تطفو على السطح كلمّا استفزتها المعاني القريبة من نصه، لذلك فهو دائم الاستعداد لامتصاص خطابات ونصوص أخرى تدخل بين ثنايا نصّه الجديد، وتشترك في تركيبه لتصبح جزءا لا يتّجزأ من نسيجه اللّغوي وعمله الأدبي، ودليلا دامغا على مخزون ثقافته ومنهل مشاربه. و يأتي القرآن الكريم وحديث الرّسول صلّى الله عليه وسلّم والموروث الأدبي من الشّعر نبعا عذبا ينهل منه الكاتب اقتباسا وتضمينا. وعليه فالاقتباس عند البّلاغيين هو " أن يضمّن الكلام شيئا من القرآن أو الحديث لا على أنّه منه."[1] أمّا التّضمين فهو: أن يضمّن الكلام شيئا من شعر الغير مع التنبيه عليه إن لم يكن مشهورا."[2]

4.1. الاقتباس من القران الكريم والحديث النبوي الشريف

يعدّ الاقتباس من القرآن الكريم والحديث الشّريف أحد الصّور البلاغية التي يلجا إليها الأديب في أعماله الأدبية، كونه يمثل الأنموذج الرّاقي الذي يحاول الكتاب أن يقتربوا بنصوصهم إليه أو الإفادة من معانيه وذلك انطلاقا من الأهمية

1- أحمد حسن حامد، التضمين في البلاغة العربيّة، دار الشّروق للنّشر و التّوزيع، نابلس (فلسطين)، ط1، 2001، ص 24.

2- جلال الدّين الخطيب القزويني، الايضاح في علوم البلاغة، دار الكتب العلمية، بيروت (لبنان)، ط1، 2003، ص 269.

الأدبية وكثافة المعنى العالية التي تضيفها هذه النّصوص فقد "تقوم الآية المستشهد بها في بلوغ الغرض وتوفية المقاصد مالا تقوم به الكتب المطوّلة."[1] وجد الاقتباس في الرّسائل السّلطانية متناثرا على صفحات عديدة، إذ لم تخل أيّة رسالة من معاني القرآن الكريم والحديث سواء على الوجه الصّريح بالاقتباس والإشارة إلي الآية والتّنبيه عليها، أو الوجه التّحويري الذي يفيد من معناها فقط، وهذا راجع إلى المسحة الدّينية التي اكتست بها. ومما جاء على المعنى الأول من الاقتباس الصّريح مع الإشارة والتّنويه لوجود الآية ما ورد في رسالة السلطان **«الغني بالله»** إلى صاحب مصر يهنّئه على ردّ العدوّ عن مداهمته بلاده والاستلاء عليها قائلا: **"ولدينه الحق وليّ ونصيره هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدّين كلّه ولو كره المشركون."**[2] وظف **«ابن الخطيب»** هذا المعنى مستعينا بقوله تعالى: ﴿**هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ**﴾ {سورة الصّف، الآية 9}. وقد أشار إلى الآية المقتبس منها بوضعها بين شولتين في كتابه، فكأنّما الكاتب يقدّم حجّته ودليله على صدق ما يقول بتقديمه لاقتباسه هذا، وقد جاء الاقتباس متناسبا مع ما يتماشى مع غرض الرّسالة المتّمثل في التّهنئة والظّفر على العدوّ. ونظير ذلك من الاقتباسات الصّريحة ما ألفّه **«ابن الخطيب»** في رسالة مفادها الإنباء بالفتح قائلا: **"وتعرف ضروب الإعانة والتّيسير حالي المقام والمسير مثنى ووحدانا، ونجد فيها مدلول قوله سبحانه سنّشد عضدك بأخيك ونجعل لكما سلطانا"**[3] اقتبس الكاتب من سورة القصص إقتباسا صريحا ولفظيا من قوله تعالى: ﴿ **قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَانًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِآيَاتِنَا**

1- شهاب الدّين محمود الحلبي، حسن التّوسل إلى صناعة التّرسّل، ص 76.
2- لسان الدّين بن الخطيب، ريحانة الكتّاب، ج1، ص 300.
3- المصدر نفسه، ص 135.

أَنْتُمَا وَمَنِ اتَّبَعَكُمَا الْغَالِبُونَ ﴾ { سورة القصص، الآية 35}. فهذه من مميزات النّص الأدبي إذ ينقل علاقة تفاعلية نصيّة قائمة على المباشرة، من خلال اقتباس قالب جاهز من القرآن يغطي به معناه ويسهل في تدعيم دلاله واتّضاحها. وفي هذا الصّدد أيضا ما لصاحب مصر: **"وأحقّ الله الحّق بكلماته وقطع دابر الكافرين وكم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله والله مع الصابرين"**

اقتبس الكاتب من قول المولى عزّ وجّل - مع احتفاظه بقالب الآية وكلماتها-: ﴿**قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُو اللَّهِ كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ**﴾{سورة البقرة، الآية 249}. وهذا ما يغني معناه ويجعله أقدر على أدائه وأكثر دفعا للحجّة ولا سيما أنّها تحيل الى نصوص مقدّسة غاية في الرّقي والكماليّة. وكذلك في قوله "وقطع دابر الذين كفروا"، نلمس هذا المعنى في قوله تعالى: ﴿**فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ**﴾ {سورة الأنعام، الآية 45) نجد أنّ المفردات: أحقّ الحقّ، فئة قليلة غلبت فئة كثيرة، قطع دابر الكافرين، جميعها تنمّ عن الحقل الدلالي للجهاد لتحفيز ودعوة المؤمنين عليه رغم قلة الإمكانات والإمدادات. نلاحظ اقتباسا قرآنيا أيضا من خلال قوله:**" وائتمر الجّم من دعوة إلى أمر آمر وأتى النّاس من الفجّوج العميقة وعلى كلّ ضامر."**[1] وظف الكاتب من قوله تعالى: ﴿ **وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ**﴾ {سورة الحج، الآية 27}. لم يجد الكاتب ما يعبّر عن فكرته التي دعواها كثرة النّاس، التي جاءت لنصرة الحقّ من كل السّبل العميقة، مشاة على أرجلهم أو امتطاء لظهور البعير إلا ما ورد في هذه الصّورة، ممّا أضفى قوة في المعنى وزيادة في بلاغته. ومن طرائق الاقتباس أيضا ذكر الآية ومتضمّنها من دون الإشارة إليها بل يحوّر من معناها، وهذا النّمط كثير في

1- المصدر السّابق، ص 193.

رسائل **«ابن الخطيب»** نتيجة تمكّنه الأدبي، فيدرج المعاني المقتبسة في كلامه وتنساب مع نصه ليفهم القارئ وحده أنّها تفيد من مرجعيات نصيّة قرآنية. ومن ذلك ما جاء في نصّ رسالة من غرض الهناء قوله: **"وردّ المكر السّيّء على العدوّ وأحاقه."**[1] تحاول هذه الدّلالة التّشبث بالمعنى القرآني الوارد في سورة فاطر قوله تعالى: ﴿**اسْتِكْبَارًا فِي الْأَرْضِ وَمَكْرَ السَّيِّئِ وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا**﴾ {سورة فاطر، الآية43} من خلال الاتّكاء على بعض الألفاظ التي مهّدت لإدخال النّص القرآني؛ ردّ المكر السّيّء وأحاقه، ولهذا الاقتباس دلالات واضحة ومتعدّدة فالمكر السّيّء كان من قبل العدوّ إذ همّ بالاستيلاء والاستعمار فرُدّ كيدهم إلى نحورهم، بجهاد المسلمين والدّفاع عن أرضهم فما كان من مكرهم وكيدهم إلا أن يعود إليهم ويحبطهم. أدرك **«ابن الخطيب»** بأنّ الأسلوب القرآني الكريم يعتمد على التّصوير الفنّي الذي يعبّر بجلاء عن الصّورة المحسّة، الّتي تُستحضر بشكل سريع في ذهن القارئ. "فأسلوب القرآن الكريم يوسع من معنى التّصوير حتى ندرك آفاقه الفنيّة. فهو تصوير بالحركة وتصوير بالتّخييل وكثيرا ما يشترك الوصف والحوار وجرس الكلمات ونغم العبارات وموسيقى السّياق في إبراز صورة من الصّور تتملّأها العين والأذن والحسّ والخيال.[2]ويرد الاقتباس المعنوي أيضا في رسالة العزاء للسّلطان **«أبي العنان»** قول **«ابن الخطيب»**: **"ويعلم أن الدّنيا ليست بدار القرار وأن ما عند الله خير للأبرار."**[3] فقد أدخل الكاتب عبارة أن ما عند الله خير للأبرار تحويرا من معنى الآية قول العزيز الجّبار: ﴿**لَكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا**

1- المصدر السّابق، ص 300.
2- سيّد قطب، التّصوير الفنّي في القرآن، دار الشّروق، القاهرة (مصر)، ط7، 2004، ص37.
3- لسان الدّين بن الخطيب، ريحانة الكتّاب، ج1، ص 345 .

الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نُزُلًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِلْأَبْرَارِ﴾ {سورة آل عمران، الآية 198} وقوله أيضا أن الدّنيا ليست بدار القرار أخذها فيما معنى الآية: **﴿يَا قَوْمِ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ﴾** {سورة غافر، الآية 39} يمثّل هذا الاقتباس الوجه الأقرب للفنّية من غيره لأن الكاتب عمد إلى حلّ الآيات الكريمة مع بقاء شيء من ألفاظها وإيرادها مع نصوص الرّسائل. فحاول ألاّ يأخذ بهذه العناصر المقتبسة حرفيّا وإنّما عمد إلى تحريكها وتغييرها للحصول على نصّ دسم تتراءى لنا من خلاله نصوص أخرى انصهرت بين أحضانه.

4.2. الاقتباس من الحديث النّبوي الشّريف

لم يقتصر**« لسان الدّين بن الخطيب»** إفادة معانيه من القرآن الكريم فحسب، بل أخذ عن النّصوص النّبوية وحمل منها خطابات بلاغية أدارت مسار الرّسائل نحو قوّة البلاغة والتّعبير وجوامع الكلم، منها ما كان صراحة ومنها ما ضمّن من معناه ومن ذلك قوله في رسالة العزاء يسلو قلب مخاطبه فيقول **"ثبت عن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم أنه قال إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث فذكر ولدا صالحا يدعو له وصدقة جارية وعلما ينتفع به وقد اجتمع لها الثّلاثة الحمد لله"**[1] اقتبس الكاتب من حديث رسول الله **"إِذَا مَاتَ الإِنْسَانُ انْقَطَعَ عنْه عَمَلُهُ إِلَّا مِن ثَلاثَةٍ: إِلّا مِن صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو له"**[2] يعدّ هذا الاقتباس من الصّور الصّريحة التي يشير إليها الكاتب مع موافقتها لنّصه تركيب ودلالة وإيقاعا. ومن الاقتباس التّحويري قوله **"وملتمس البركة من أبواب مفاتيحه ولكل امرئ ما نواه"**[3]، اقتبس الكاتب عبارة ولكل

1- المصدر السّابق، ص 339.
2- أبو الحسين مسلم بن الحجّاج، صحيح مسلم، دار الكتب العلمية، بيروت (لبنان)، ط1، 1991، ص 1631
3- لسان الدّين بن الخطيب، ريحانة الكتّاب، ج1، ص 207.

امرئ ما نواه مع تحوير اللّفظ من الحديث النّبوي عن الهجرة **"إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى."**[1] فأضفى هذا السياق روعة في الأداء. وفي رساله إلى سلطان المغرب من غرض الاستنجاد يقول **"ونادينا الجهاد يا أمّة النّبي الهاد، الجنّة الجنّة تحت ظلال السّيوف الحداد"**[2] اقتبس الكاتب وأفاد من الحديث النبوي **"الجَنَّةُ تَحِتَ ظِلَالِ السُّيُوفِ"**[3] وهو يرسم أنموذج كون الجنّة مقرونة بإعمال السّيوف في سبيل الله.

4.3. التضمين من الشّعر

لقد اهتديَ **«ابن الخطيب»** إلى الموروث الثّقافي العربي الحافل بالأشعار الجزيلة والقصائد العظيمة، واختار منها ما يحاكي بها رسائله ويمزجها بها وفق تناسق فني إبداعي، ينمّ عن قدرة بلاغية خلاقّة في إضفاء روح جديدة مستمدّة طاقتها من عمق التّراث الفكري. وخير ما نستشهد به ما ضمّنه **«ابن الخطيب»** من الشعر قوله**." وقرطاسيّ حقه لا يجهل متى ترقى العين فيه تسهل إن نزل عنه جلّه فهو نجم كلّه"** وهو تضمين لعجز بيت امرئ القيس:

"وَرُحنَا يَكَادُ الطَّرفُ يَقصَرُ دُونَهُ * مَتَى تَرَقَّ العَينُ فيه تَسَهَّلُ"**[4]

ضمّن من هذا البيت ما يدّعم به وصفه للخيل الذي أهدي لهم، فاستحضر كلام امرئ القيس في وصف جواده. وموجز معناه أنه كامل الحسن رائع الصّورة تكاد العيون تقصر عن كنه حسنه ومهما نظرت العيون إلى أعالي خلقه اشتهت النّظر إلى أسافله. وأورد التضمين من الشعر أيضا في قوله: **"وأضرم الجوانح من بين**

1- محمد بن صالح العثيمين، شرح الأربعون النّووية، دار الثّريا للنّشر والتّوزيع، الرّياض (السّعودية)، ط2، 2004، ص 10.
2- لسان الدّين بن الخطيب، ريحانة الكتّاب، ج1، ، ص 192.
3- أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، صحيح البخاري، ، دار إحياء التّراث العربي، بيروت (لبنان) د.ط، م4، 1932، ص 26.
4- عبد الرّحمان المصطاوي، ديوان امرؤ القيس، دار المعرفة، بيروت (لبنان)، ط2، 2004 ، ص 60.

ولوعها وبيّن أنّ شراب الآمال سراب، وكلّ الذي فوق التّراب تراب"[1] فعبارة "كل الذي فوق التّراب تراب" تذكرنا بما قاله الشاعر أبو فراس الحمداني: **إذَا صَحّ مِنكَ الودُّ فالكّلّ هَيّن*** وَكُلَّ الذي فَوقَ التّرَابِ تُرَاب**[2] استطاع الكاتب أن يحمل من معنى البيت ما يناسب نصّه ويدرك دلالته.

نستنتج في الأخير أن الرّسائل التي درج **«ابن الخطيب»** على توشيتها بالاقتباس والتّضمين قد جعلتها على قدر عال من البهاء والجمال، وأنّ خلو الرّسائل من تلك الاقتباسات قد ينقص من قدرها مهما بلغت من البلاغة وقوّة الحجّة. نخلص إلى القول بأنّ «ابن الخطيب» قد تفنن في أساليب البلاغة التي أضفت على رسائله خصائص فنية بارعة ، فجعلها نافذة يستطّل منها طلاوته اللفظية وعذوبته اللّغوية ورقة معانيه وقوّة تعبيره.

1- لسان الدّين بن الخطيب، ريحانة الكتّاب، ج1، ص 322.
2- خليل الدويهي، ديوان أبي فراس الحمداني، دار الكتاب العربي، بيروت (لبنان)، ط2، 1994، ص 46.

الملاحق

1- «لسان الدّين بن الخطيب»

يعدُّ **«لسان الدّين بن الخطيب»** أنموذج زمانه الفذ، وفلتة من فلتات دهره الفارط، فهو الملقّب بذي الوزارتين لمكانته المرموقة في السّياسة والأدب. فلا بدّ أن نلمّ بومضة من أخباره و حياته. "هو محمّد بن عبد الله، ابن سعيد بن علي بن السّلماني، قرطبي الأصل، ثم لُوشِيَّه، يكنّى بأبي عبد الله، ويلقّب من الألقاب المشرّفة بلسان الدّين، الوزير الشّهير، الطّائر الصّيت، المثل المضروب في الكتابة، والشّعر والمعرفة بالعلوم على اختلافها وأنواعها، رحمه الله."[1] ولد عام 713 للهجرة وهو من بيت عُرف قديما ببني الوزير وحديثا ببني الخطيب، وهو بيت اشتهر بالعلم والفقه والأدب والطّب.[2] تلقّى علومه على مشيخة غرناطة "واختصّ بصحبة الحكيم المشهور **«يحيى بن هذيل»**، وأخذ عنه العلوم الفلسفية، وبرز في الطّب، و انتحل الأدب، و أخذ عن أشياخه ، وامتلأ حوض السّلطان من نظمه و نثره مع انتقاء الجيّد منه."[3] نبغ **«ابن الخطيب»** في الشّعر والنّرسل بحيث لا يُجارى فيهما. قلّده السلطان **«أبو الحجّاج»** منصب الوزير وأثبته في ديوان الكتابة بعد وفاة **«ابن الجيّاب»** فبرع في أفانينها حتى قيل عنه: " هو شاعر الدّنيا، وعلم المفرد والثنيا؛ وكاتب الأرض، إلى يوم العرض؛ لا يدافع مدحه في الكتب، و لا يجنح فيه إلى العتب."[4] ولمنزلته عند السّلطان **«أبي**

1- شهاب الدّين أحمد بن محمّد المقرّي التلمساني، أزهار الرّياض في أخبار عيّاض، صندوق إحياء التّراث الإسلامي، المغرب، الإمارات العربية المتّحدة، ج1، د.ط، د.س، ص 186.
2- شوقي ضيف، الفنّ ومذاهبه في النّثر العربي، دار المعارف، القاهرة (مصر)، ط10، د.س، ص 333.
3- المرجع نفسه، ص 333.
4- شهاب الدّين أحمد بن محمد المقري التلمساني، أزهار الرّياض في أخبار عيّاض، ص 191.

الحجاج» وابنه **«محمّد»**، تأليب عليه جموع الحسّاد وسعوا إلى الحطّ من شأنه ، واتّهامه بالكفر والزندقة إلى أن أعتقل في فاس وخُنِق في سجنه سنة 776هـ.[1]

- **مؤلفاته:**

خلّف **«لسان الدّين بن الخطيب»** آثارا جمّة قيّمة في التّاريخ والأدب وعلوم الشّرع والطّب، من أهمها:

- الإحاطة في أخبار غرناطة.
- اللّمحة البدرية في الدّولة النّصرية.
- طرفة العصر في دولة بني النّصر.
- بستان الدّول.
- نفاضة الجراب في علاقة الاجتراب.
- ريحانة الكتّاب ونجعة المنتاب.
- السّحر والشّعر.
- النّثر في غرض السّلطانيات.
- روضة التّعريف في التّصوف
- عمل من طبّ لمن حبّ
- اليوسفي في علم الطّب.

2- السّلطان أبو الحجاج

السّلطان **«أبو الحجاج»** سابع ملوك بني نصر في دولة غرناطة، وهو يوسف بن إسماعيل بن فرج بن إسماعيل بن يوسف، الشّهير باسم يوسف الأوّل. ولد بقصر غرناطة عام 718هـ وتولّى إمارتها بعد أخيه السلطان **«محمّد بن**

1- حنّا الفاخوري، الجامع في تاريخ الأدب العربي، دار الجيل، بيروت (لبنان)، د.ط، 2005، ص928.

إسماعيل» سنة 733هـ[1]. وكان في صباه كثير الصّمت والسّكون فلم يمارس شيئا من أعمال الدّولة إلاّ بعد أن توفرت له الحنكة والتّجارب، فقام بأعباء الملك وباشر بعض الحروب بنفسه ضدّ الإسبان. وكان على اتّصال وثيق بملك المغرب **«أبي العنان»**، من أشهر وزرائه **«لسان الدّين بن الخطيب»** بعد وفاة الوزير **«الحسين بن الجيّاب»**. توفي بطعنة خنجر سنة 755 هـ[2].

3- الملك أبو العنان المغربي

هو الأمير المتوكّل على الله فارس بن علي بن عثمان بن يعقوب بن عبد الله، يكنّى **«بأبي العنان»**، أمه روميّة اسمها شمس الضحى. وُلد بالدّار البيضاء في الثاني عشر لشهر ربيع الأوّل عام 729هـ. بويع في تلمسان حياة أبيه عام 749هـ، وكان فارسا شهما شجاعا بطلا مجرّبا، يقوم في الحرب مقام جنده.[3] يُذكر أنه كان واسع الاطّلاع ، حسن الثقافة، فقيها يناظر العلماء، يصيبهم ويخطئهم، و له معرفة ضليعة بأصول الدّين والمنطق، حافظا للقرآن، كثير التمثّل بآيه، فصيح القلم كاتبا مرسلا بليغا وبارع الخطّ. مات مقتولا خنقه وزيره **«الحسن بن عمر الفودودي»**، يوم السّبت الثامن والعشرين لذي الحجّة، مختتم عام 759هـ وله 30 سنة، دفن بجامع المدينة البيضاء، و دامت دولة 9 أعوام و 9 أشهر.[4]

1- لسان الدّين بن الخطيب، اللّمحة البدرية في الدّولة النّصرية، ص 91.
2- المصدر السّابق، ص 97.
3- أبو الوليد إسماعيل بن الأحمر، روضة النّسرين في دولة بني مرين، المطبعة الملكية، الرّباط (المغرب) د.ط، 1962، ص 27.
4- المصدر نفسه، ص 27.

خاتمة

أسفرت رحلتنا البحثية بعد الإبحار في عمق تراث فردوسنا المفقود على آخر أيامه، من خلال دراسة موضوعات وخصائص الرّسائل السّلطانية، في كتاب ريحانة الكتّاب **«للسان الدين بن الخطيب»**، عن مجموعة من الثقاط والنتائج كانت هي عصارة دراستنا وهي:

1) احتلّ فنّ الرّسائل مكانة مميزة في النثر الفني، لما له من جماليات أدبية ولغوية وغاية إبلاغية.
2) لقد كان أدب الرّسائل من أسبق ألوان النثر الفنّي إلى الظهور في الأندلس، وذلك راجع إلى تمكنهم من الفصاحة والبلاغة منذ أوّل قدوم لهم إلى تلك البلاد.
3) شكلت مختلف الوقائع والتطورات الجديدة التي مرّت بها بلاد الأندلس من توليات وخلافات وسقوط دول ونهضة أخر دورا بارزا في شيوع أدب الرّسائل السّلطانية.
4) نالت الرّسائل السّلطانية حظا وافرا من الاهتمام لدى الأندلسيين، فكانوا يتخيّرون لها أبلغ الكتّاب وأقدرهم على تصريف الكلام وصوغ المعاني والألفاظ.
5) شهد الترسّل السّلطاني تطوّرا ملحوظا وتشعبا تبعا لتشعب أمور الحياة في المجتمع الأندلسي خلال القرن الثامن الهجري.
6) عُدّ **«لسان الدّين ابن الخطيب»** علامة فارقة في تألق وازدهار الرّسائل السّلطانية، فقد كان اللّسان النّاطق بين الملوك والأمراء والقلم المصيب لكل مصيبة.

7) واكبت موضوعات الرّسائل السّلطانية في كتاب ريحانة الكتّاب **«لابن الخطيب»** جميع مظاهر الحياة السّياسية الأندلسية في عصر بن الأحمر فحفظت له قيمته التّاريخية وضمن بقاءه في الإرث العربي الإسلامي.

8) طرق **«ابن الخطيب»** في رسائله مختلف الأغراض التي استدعتها طبيعة الحياة الإدارية للدّولة في عصر بني الأحمر، فجاءت على تهاني عند الظّفر وتكامل دلائل النّصر. وفتوحات لما استطاعوا بمنّ الله أن يوّلوهم إليهم من الحصون والقلاع، وأخرى في التعازي عند الحوادث والنّائبات، ورسائل في غرض الاستنجاد وطلب المعونات عند الحروب الشّداد ضدّ الأعداء، ومجموعة حوت تشكرات على مختلف العطاءات، وثانية عن الشّفاعات لأصحاب الحاجات.

9) أدرك **«لسان الدّين»** أهميّة الترّسل السّلطاني وضرورة الاهتمام بالقيّم الجمالية والفنيّة له، باعتباره مرآة واقع الدّولة ومستواها الحضاري وتمكّنها الأدبي. فلذلك قد ألمّ بجميع الصّور البلاغية وهذا ما ميّز هذه الرّسائل السّلطانية لاعتمادها على الصّناعة والزّخرف اللّفظي.

10) حظيت الرّسائل السّلطانية في كتاب ريحانة الكتّاب بعناية بالغة في ترتيب عناصرها البنائية وتركيبها الفنّي من خلال جودة مطالعها وحسن تخلصها وبراعة ختامها.

11) حفلت رسائل **«لسان الدّين بن الخطيب»** السّلطانية بتنّوع غني في الصّور البيانية والمحسنات البديعية أطلعتنا على اتّباع الكاتب مذهب التّنميق اللفظي والمبالغة في التّصوير، ودقة التّعبير.

12) أضفت الصّور البيانية في الرّسائل السّلطانية لـ**«ابن الخطيب»** قيمة بلاغية تجسدت في اكساب المعاني قوّة ووضوحا وإغنائها بروح الحسيّة لتقريبها إلى الواقع واستحضارها في ذهن القارئ.

13) حرص **«ابن الخطيب»** على الوقوف على مقتطفات إبداعية لخلق إيقاع موسيقي، وتوفير رتما منغما تطرب له الأذن، من خلال توشيح رسائله بالسّجع والطباق والمقابلة والجناس.

14) استخدام الكاتب للألفاظ الدّينية من خلال استمداد معانيه من القرآن الكريم والحديث النبوي دلالة على تشرّبه بالثقافة الإسلامية.

15) لقد اهتدى **«ابن الخطيب»** إلى الموروث الثقافي العربي، الحافل بالأشعار الجزيلة والقصائد العظيمة، واختار منها ما يحاكي بها رسائله و يمزجها بها وفق تناسق فني ابداعي، ينمّ عن قدرة بلاغية خلاقة في إضفاء روح جديدة مستمدة طاقتها من عمق التراث الفكري.

16) تجلت الخصائص الفنيّة للرّسائل السلطانية عند **«لسان الدّين بن الخطيب»** في كتابه ريحانة الكتّاب ونجعة المنتاب، في ثراء لغتها وسلاسة أسلوبها وعذوبة تعابيرها وامتزاجها بالمسحة الدّينية.

و في الأخير نرجو أن نكون قد لامسنا بعضا من جوانب هذا الموضوع. هذا فإن أصبنا فمن الله وإن أخطأنا فمن أنفسنا ومن الشّيطان.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع

❖ القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم.

أولا: المصادر باللّغة العربية

1. **(ابن إبراهيم)** أبو الحسين إسحاق ، البرهان في وجوه البيان، تح: حفني محمد شرف، مطبعة الرّسالة، القاهرة (مصر).
2. **(ابن الأثير)** ضياء الدّين ، المفتاح المنشا لحديقة الإنشا، تح: عبد الواحد حسن الشيخ، مطبعة الإشعاع الفنّية، الإسكندرية (مصر)، ط1، 1999.

(ابن الأحمر) أبو الوليد إسماعيل:

3. أعلام المغرب والأندلس في القرن الثامن الهجري، تح: محمد رضوان الدّاية، مؤسسة الرّسالة، بيروت (لبنان)، ط2، 1987 .
4. روضة النّسرين في دولة بني مرين، المطبعة الملكية، الرّباط (المغرب) د.ط، 1962.
5. **(ابن الحجّاج)** أبو الحسين مسلم، صحيح مسلم، دار الكتب العلمية، بيروت (لبنان)، ط1، 1991.
6. **(البخاري)** أبو عبد الله محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، دار إحياء التّراث العربي، بيروت (لبنان) د.ط، م4، 1932.

(ابن الخطيب) لسان الدّين:

7. الإحاطة في أخبار غرناطة، تح: محمد عبد الله عنان، مكتبة الخانجي، القاهرة (مصر)، م1، ط1، 1973.
8. ريحانة الكتاب ونجعة المنتاب، تح: محمد عبد الله عنان، مكتبة الخانجي القاهرة (مصر)، ج1، ج2، ط1.

9. كناسة الدّكان بعد انتقال السكان، تح: محمد كمال شبانة، دار الكاتب للطّباعة والنّشر، القاهرة (مصر)، د.ط، د.س.

(التّلمساني) أحمد بن محمد المقري:

10. أزهار الرّياض في أخبار عيّاض، صندوق إحياء التّراث الإسلامي، المغرب، الإمارات العربية المتّحدة، ج1، د.ط، د.س

11. نفح الطيب من غصن الأندلس الرّطيب، تح: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، (لبنان)، ج6،ج7،1967.

12. **(الحلبي)** شهاب الدّين محمود، حسن التّوسّل إلى صناعة التّرسّل، ، تح: أكرم عثمان يوسف، دار الرّشيد للنّشر، بغداد (العراق)، دط، 1980.

13. **(الشّنتريني)** علي بن بسام ، الذخيرة في محاسن أهل الجيزة، تح: إحسان عباس، دار الثّقافة بيروت (لبنان) م1، ق1.

14. **(القّزويني)** جلال الدّين الخطيب ، الايضاح في علوم البلاغة، دار الكتب العلمية، بيروت (لبنان)، ط1، 2003.

15. **(القلقشندي)** أبو عباس أحمد، صبح الأعشى في كتابة الإنشا، دار الكتب المصرية، القاهرة (مصر)، ج1، ج6، ج7، ج8، ج9، ط1، 1922.

16. **(شكيب)** أرسلان ، الحلل السّندسية في الأخبار والآثار الأندلسيّة، دار مكتبة الحياة، بيروت (لبنان)، ج2.

ثانيا: المراجع باللّغة العربية

17. **(الرّكابي)** جودت، في الأدب الأندلسي، دار المعارف، القاهرة (مصر)، ط2، 1966.

18. **(الشّاذلي)** سيّد قطب إبراهيم حسين، التّصوير الفنّي في القرآن، دار الشّروق، القاهرة (مصر)، ط7، 2004.

19. **(الشايب)** أحمد، الأسلوب (دراسة بلاغية تحليلية لأصول الأساليب الأدبية)، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط2

20. **(العثيمين)** محمد بن صالح، شرح الأربعون النّووية، دار الثّريا للنّشر والتّوزيع، الرّياض (السّعودية)، ط2، د.س.

21. **(الفاخوري)** حنّا ، الجامع في تاريخ الأدب العربي، دار الجيل، بيروت (لبنان)، د.ط، 2005.

22. **(القّطّان)** شاكر محمود ، الكناية مفهومها و قيمتها البلاغية، دار العلوم، القاهرة (مصر)، د.ط، 1994

23. **(المقدسي)** أنيس: تطور الأساليب النثرية في الأدب العربي، الدائرة العربية، بيروت (لبنان)، ج1، د.ط، د.س.

24. **(الموسوي)** عزيز حسين علي ، النثر الأندلسي (الرّسائل السّلطانية في عصر بني الأحمر)، الدار المنهجية، عمان (الأردن)، ط1، 2016.

25. **(الهاشمي)** أحمد ، جواهر البلاغة في المعاني و الّبيان والبديع، المكتبة العصرية، صيدا (لبنان)، د.ط د.س.

26. **(بن محمد)** علي، النثر الأدبي في الأندلس في القرن الخامس "مضامينه وأشكاله"، دار الغرب الإسلامي، د.ط، د.س.

27. **(حامد)** أحمد حسن ، التضمين في البلاغة العربيّة، دار الشّروق للنّشر والتّوزيع، نابلس (فلسطين)، ط1، 2001.

28. **(حنبكة)** عبد الرّحمان حسن ، البلاغة العربيّة أسسها، وعلومها، وفنونها، دار القلم، دمشق (سوريا)، ج2، ط1، 1996م.

29. **(شكري)** فرحات يوسف، غرناطة في ظل بني الأحمر، دار الجيل، بيروت (لبنان)، ط1، 1993.

30. **(ضيف)** شوقي ، الفنّ ومذاهبه في النّثر العربي، دار المعارف، القاهرة (مصر)، ط10، د.س.

31. **(عباس)** إحسان ، تاريخ الأدب الأندلسي (عصر سيادة قرطبة)، دار الثقافة، بيروت (لبنان)، ط2.

32. **(عبد المطلب)** محمد، البلاغة والأسلوبية، الهيئة المصرية العامة للكتّاب، القاهرة (مصر)، ط1، ص1998.

33. **(عبد النبي)** فايز، أدب الرّسائل في الأندلس في القرن الخامس هجري، دار البشير، عمان (الأردن)، ط1، 1989م.

(عتيق) عبد العزيز:

34. الأدب العربي في الأندلس، دار النهضة العربية، بيروت (لبنان) ط1، د.س.

35. علم البديع، دار النّهضة الأدبيّة، بروت (لبنان)، د.ط، د.س.

36. **(عيسى)** فوزي سعد ، التّرسّل في القرن الثالث الهجري، دار المعرفة الجامعية، 1991.

37. **(قاسم)** محمد أحمد ، ديب محي الدّين ، علوم البلاغة (البّديع والبّيان والنعاني)، المؤسسة الحديثة للكتّاب طرابلس (لبنان)، ط1، 2003.

38. **(منجد)** مصطفى بهجت ، الأدب الأندلسي من الفتح حتى سقوط غرناطة، دار الكتب للطباعة والنّشر، الموصل (العراق)، ط1، 1988.

39. **(موافي)** عثمان ، في نظرية الأدب (من قضايا بالشعر و النثر في النقد العربي القديم،ج1، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية (مصر)، 2009.

40. **(الحارثي)** عايض سعد ، ديوان الإنشاء بمصر والشام في القرن السّادس الهجري رسالة دكتوراه، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، 1983م.

ثالثا: الرّسائل الجامعية

41. **(سرهيد)** عنان خلف ، أثر الشّعر في توثيق الأحداث التّاريخية في سلطنة غرناطة، رسالة ماجستير، معهد التأريخ العربي والتّراث العلمي للدّراسات العليا، بغداد (العراق)،2005.

رابعا: المعاجم

42. **(الإفريقي)** ابن منظور، لسان العرب، دار المعارف، د.ط، د.س.

43. **(الفيروز أبادي)** يعقوب ، القاموس المحيط، تح: أنس محمد الشامي و زكريا جابر أحمد، دار الحديث، القاهرة (مصر)، د.ط، 2008م.

44. **(عبد النّور)** جبور ، المعجم الأدبي، دار العلم للملايين، بيروت (لبنان)، ط2.

خامسا: الدّواوين

45. **(الدويهي)** خليل ، ديوان أبي فراس الحمداني، دار الكتاب العربي، بيروت (لبنان)، ط2، 1994.

46. **(المصطفاوي)** عبد الرّحمان، ديوان امرؤ القيس، دار المعرفة، بيروت (لبنان)، ط2، د.س.

الملخّص:

يروم هذا البحث الموسوم بـ **«الرّسائل السّلطانية في كتاب ريحانة الكتاب ونجعة المنتاب للسان الدّين بن الخطيب دراسة في الموضوعات والخصائص الفنيّة»** للإلمام بأسباب شيوع الرّسائل السّلطانية في الأندلس عامة، وفي عصر بني الأحمر خاصةً. من خلال التّطرق إلى أبرز الأغراض والمضامين التي حملتها هذه الرّسائل، وكذا تسليط الضّوء على الجوانب الجمالية والملامح الفنيّة التي وظّفها لسان الدّين ابن الخطيب، لأجل خلق عمل أدبي إبداعي فنّان يستند على مستويات بنائية، إيقاعية وتصوريّة.

الكلمات المفتاحية:

الرّسالة، الرّسالة السّلطانية، موضوعات الرّسائل، الخصائص الفنّية والبنائية، لسان الدّين بن الخطيب.

Summary

This research, tagged with “The Royal Messages in the Book of Rayhana Al-Kitab and Najat Al-Mantab by Lisan Al-Din Bin Al-Khatib, aims to study the subjects and technical characteristics” to understand the reasons for the prevalence of the Sultanate messages in Andalusia in general, and in the era of Bani Al-Ahmar in particular. By addressing the most prominent purposes and contents of these messages, as well as shedding light on the aesthetic aspects and artistic features that Lisan Al-Din Ibn Al-Khatib employed in order to create an artistic creative literary work based on structural, rhythmic and conceptual levels.

Keywords: the message, the royal message, themes of the messages, technical and structural characteristics, Lisan ad-Din ibn al-Khatib.